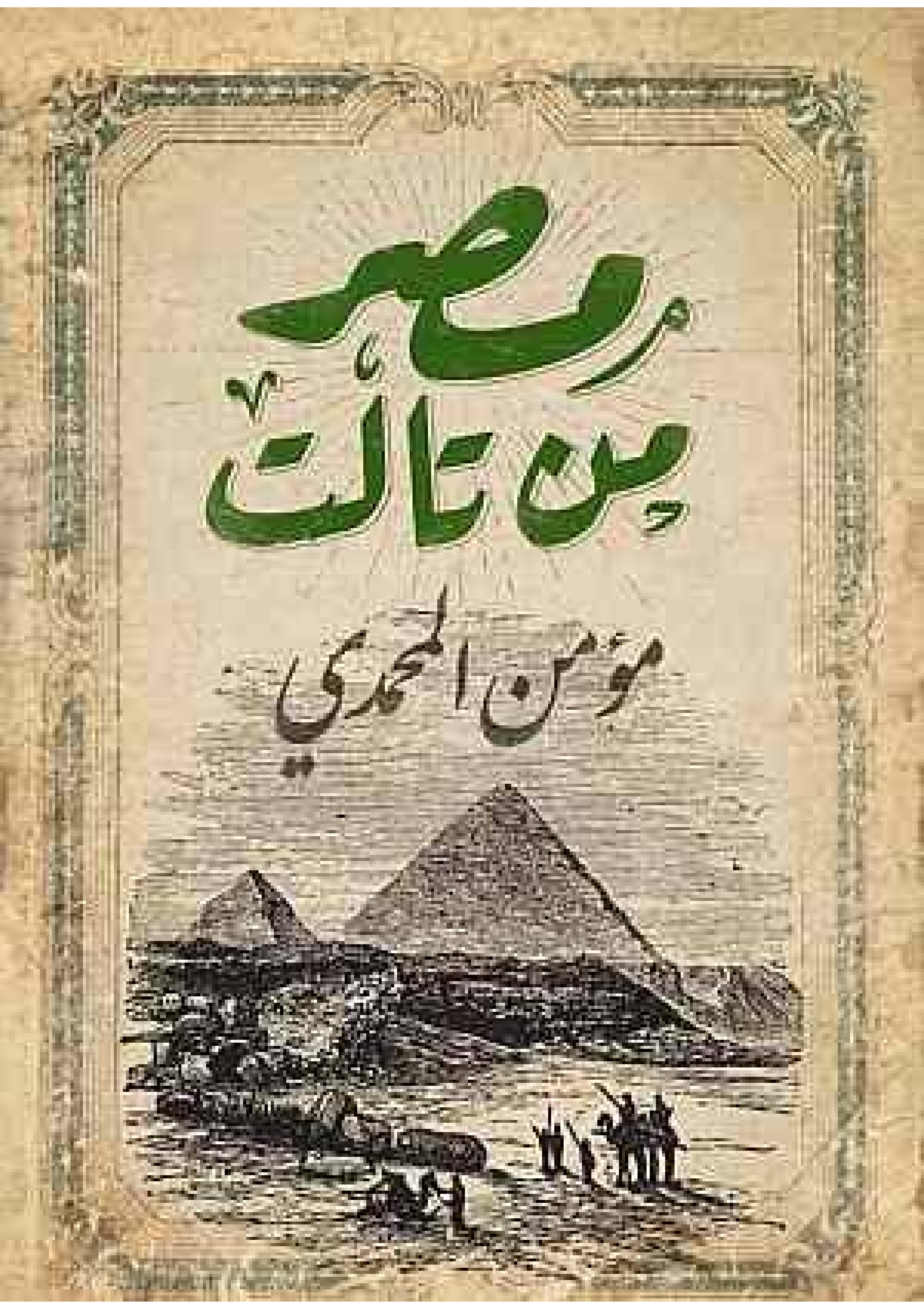

مصر
مومن المحمدی

مصر من تالت

حواديت من المحروسة

مؤمن المحمدي

الرواق للنشر والتوزيع

مصر من تالت

موئمن المحمدي

■ الطبعة السادسة.......... مارس 2018

الغلاف: كريم آدم

رقم الإيداع: 16022 / 2016

الترقيم الدولي: 0 - 89 - 5153 - 977 - 978



186 عمارات امتداد رمسيس 2 – أمام أرض المعارض – مدينة نصر

هاتف: 0220812006

rewaq2011@gmail.com

facebook.com/Rewaq.Publishing

تنفيسة

حضرتك عارف، لو عارفني يعني، إني بتاع حكايات، حواديت، وغاوي خربشة في صفحات التاريخ، بـ أحولها لـ قصص سهلة القراية.

ما أقدرش أدّعي إن ده تأريخ، ولا دي حاجات من اكتشافي، لكنها حواديت مختارة من تاريخ مصر الحديث، هي في الأغلب ما قبل ثورة يوليو، ما عدا كام حكاية من أيام ناصر شفتهم ما يتفوتوش.

كما هي العادة بـ أحاول ما أتدخلش ولا أصدر أحكام، على قد ما أقدر يعني، وما عنديش هدف إني أقول على العصر ده أحسن من العصر دوكها، ولا إن الحاكم الفلاني أجدع من الحاكم العلاني، أنا سايب لك إنت الحكم، وتوجيه الحكايات زي ما تحب.

طيب إيه هدف الكتاب؟

فاكر محمود المليجي في فيلم «إسكندرية ليه»؟

لما قال لـ أحمد زكي المونولوج العظيم اللي كاتبه محسن زايد بتاع «وعايزني أكسبها؟»، أحمد زكي سأله، أومال إنت جي ليه؟

كان رد المليجي:

تنفيسة..

تنفيسة لي ولك.

أهو الكتاب ده تنفيسة، يمكن حد يقرا ويعرف إن البلد دي كبيرة وليها تاريخ، ومش هـ أخبي عليك؛ أنا اللي استفزني أكتب الكتاب ده موضوع تيران وصنافير، مش موضوع الجزيرتين في حد ذاته، إنما الإحساس بـ إننا بـ نهدر جبل من العمق الحضاري، لـ صالح ولا حاجة.

البلد دي بـ مشاكلها بـ صعوباتها بـ حكايات الفساد فيها بـ أي حاجة ممكن تخطر لك على بال بلد كبيرة، أكبر بـ كتير مما نتخيل جميعًا، وزي ما محمود السعدني الله يرحمه زمان حكى حكايات وسماها «مصر من تاني»، فـ إحنا هنا بـ نعيد مصر من تالت، وإن شاء الله رابع وخامس وسادس وإلى أبد الآبدين.

يارب الكتاب ده يثير فضولك إنك تدور ورا شخصية، تحب مرحلة أو تكرهها، فـ تفتش أكتر في تاريخنا، ده تاريخنا يا جماعة، تاريخنا كلنا.

وعاشت مصر حرة مستقلة..

مؤمن المحمدي
٣٠ يونيه ٢٠١٦
القاهرة

قُرصة بـ ألف دينار

ياما دقت ع الراس طبول

البلد دي ياما شافت، وياما عدى عليها، ومع إني مش عايز أجيب حاجة من التاريخ القديم، بس حابب أبدأ معاك بـ حكاية من أيام الخليفة الفاطمي المستنصر بـ الله، بس علشان أقول لك إنه ياما دقت ع الراس طبول، واللي بـ نعيشه النهارده من ظروف صعبة، البلد دي مرت بـ الأصعب منه بـ مراحل، وعدت.

الخليفة المستنصر على فكرة كان خليفة قوي، مش ضعيف، وهو صاحب أطول فترة حكم في تاريخ الخلفاء المسلمين، حكم ستين سنة، وكانت مصر في فترته شيعية، ما هو كان خليفة فاطمي، وفي عهده، القاهرة تفوقت على بغداد، مركز الخلافة، لـ درجة إنه كان فيه مساجد في بغداد بـ تدعي له، ومش بـ تدعي لـ الخليفة العباسي.

لكن حصل في عهده، إنه جت على مصر سبع سنين عجاف، من ١٠٦٥ إلى ١٠٧١ ميلادية، ويبدو إن كل حاكم بـ يطول في الكرسي لازم أواخر

عهده تبقى بلا أزرق على جثة الشعب، إن مكنش من الظروف السياسية، يبقى غضب الطبيعة أو أي هباب يسود عيشة البلد واللي عايشين فيها.

في أواخر حكم المستنصر البلد اتفرتكت ميت حتة، وأمه اتحكّمت في كل حاجة، وبدأت حتت من البلاد تستقل، وكترت المؤامرات، وجات الطامة الكبرى بـ إنه حصلت أزمة جفاف، فـ النيل قل، وميته ما عادتش تكفي الشرب فضلًا عن إنها تروي الزرع، والناس جاعت، حتى الخليفة نفسه جاع.

لما نقول الناس جاعت، مش قصدنا إن الأسعار زادت، أو إن المرتبات قلت، أو الدولار غلي، أو الفساد أو.. أو.. أو..، لأ، الناس جاعت يعني جاعت، يعني مش لاقية اللقمة «حرفيًا» (حاولت ألاقي كلمة غير «حرفيًا» اللي اتمرمطت معانا ما لقيتش).

المهم، الناس جاعت، وعم البلاء، ودي السنين اللي اتعرفت في التاريخ بـ اسم «الشدة المستنصرية» نسبة لـ الخليفة المذكور. لما بـ نسمع كلمة «الشدة المستنصرية»، ده لـ اللي سمع التعبير ده، يمكن الصورة بـ تدل على شوية أيام صعبة عدت على مصر. بس تفاصيل الأيام دي، أو اللي وصل لنا منها، شيء لا يصدكه عكل، ولا يحتمله قلب، ولا خطر على قلب بشر ولا حيوانات حتى.

المقريزي بـ يحكي حكايات مقرفة كتير، أبسطها إنه الوزير راح لـ المستنصر على بغلة، فـ فيه ناس اتلموا على البغلة، صادوها وكلوها، المستنصر عرف أسماء بعضهم، فـ شنقهم، جم ناس تانيين، خدوا المشنوقين كلوهم. لاحظ إني بـ أقول لك «أبسطها»، لـ إن فيه حكايات فعلًا تخليك تجيب اللي فـ بطنك وقتي، حتى لو مكنتش واكل، ما اعرفش ازاي الراجل كتبها، ولا ازاي الناس قرتها.

فـ وسط الحكايات دي، حكاية ينفع تتقال، إن واحدة عندها بيت محصن، زي قصر كده، عايزة تجيب دقيق، فـ راحت خدت عقد تمنه ألف دينار، وعملت مغامرات، لـ حد ما عترت في ناس جبابرة، عندهم دقيق، ويقدروا يحموه من الناس.

اشترت منهم كيس دقيق بـ العقد، بس فيه مشكلة.

ازاي تروّح بيه؟

جابت حد، يوصل لها الكيس البيت، وياخد نسبة منه، وكانت الخطة على وشك تنجح، لولا إنه عند باب القصر، كان الخبر اتعرف، فـ الناس اتلمت من كل حتة، واللي يقدر يخطف شوية دقيق خطف.

الست نفسها دخلت العركة على الدقيق، ونابها شوية دخلت بيهم القصر، وخبزتهم فـ طلعوا «قُرصة» واحدة.

فـ راحت خدتها، وطلعت بيها على سطح القصر، ونادت الناس:

يا أهل القاهرة

ادعوا لـ مولانا المستنصر

ربنا أسعد الناس في أيامه

لـ درجة إن القرصة دي وقفت عليّ بـ ألف دينار

النبي الدكروري

الثبات على المبدأ يا صاحب الرسالة

لما تمشي من ميدان العتبة في اتجاه عابدين، وتوصل عند تقاطع شارع الجمهورية مع شارع قصر النيل، هـ يقابلك جامع، الجامع ده اسمه جامع الكخيا، الكخيا ده شخص، كان أمير اسمه عثمان كتخدا الكازدوغلي، وفي زمنه حصلت حكاية لطيفة من واحد دكروري.

دكروري يعني إيه؟

إنت عارف بولاق الدكرور، الدكرور دي كلمة مش مصرية ولا عربية، دي كلمة أصلها من دولة مالي، اللي بـ نسمع عنها من الكورة في الأمم الافريقية، ومالي كانت مقسمة إلى خمس أقاليم، واحد منها اسمه إقليم «التكرور» بـ التاء، بس المصريين كانوا بـ ينطقوها الدكرور بـ الدال أسهل.

طب وإيه اللي جاب القلعة جنب البحر، يعني إيه اللي إقليم من مالي عندنا؟

الأزهر يا سيدي، كان بـ يستقبل طلاب من بلاد كتير، وكان فيه ناس

ياما جايين من مالي، وتحديدًا من الإقليم ده، وبعضهم فضل في مصر وما روحش بلدهم تاني، منهم سيدي الدكروري، بس الدكروري اللي بـ نتكلم عنه هنا دلوقتي، دكروري تاني خالص، تعالى نشوف حكايته.

الراجل الدكروري ده راح شربين، ورجع حالته مبدولة شويتين، ومتغير، الكلام ده كان سنة ١١٤٧هـ حسب الجبرتي، وكنا في أوائل رمضان، الناس اللي حوالين الراجل الدكروري ده لاحظوا تغيره، فـ سألوه، قال لهم إنه نبي منزل من السما، وإن جبريل بـ ييجي له بـ الوحي، وهكذا أشياء.

الناس اتلموا عليه، ولما أصر على كلامه، راحوا ودوه لـ الشيخ العماوي، اللي كان من شيوخ الأزهر، فـ قعد يقرر الراجل، فـ صاحبنا ما تراجعش، بـ العكس، زوّد على الكلام بـ تخاريف غير مقبولة زي إن جبريل خده في ليلة ٢٧ رجب، وطلع بيه السموات، وقال له روح بلغ الناس بـ الرسالة.

الشيخ العماوي سأله:

- إنت عبيط يا ابني؟

ـ لا، أنا نبي.

- يا ابني مفيش حاجة اسمها كده.

المهم يمين شمال، ما أمكنش، فـ راحوا ضربوه وطردوه من الجامع.

يبدو أن دعوة صاحبنا بدأت تلاقي زباين، لـ حد ما سمع بيه الأمير الكخيا، فـ جابه، وقرره فـ لقاه متمسك بـ الحكاية دي، فـ حطه في الموريستان (مستشفى المجانين) على أساس إنه معتوه، بس المشكلة إن أتباعه راحوا خرجوه من المستشفى وخبوه.

والي مصر سمع بـ الحكاية، فـ راح بعت الجنود فضلوا يدوروا عليه، لحد

ما عرفوا الناس مخبيينه فين، فـ قرر الوالي إنه يعمل حل جذري لـ الحكاية دي، فـ جابه في القلعة، وفضل يقرره أو يحاول يخليه يتراجع عن اللي بـ يقوله، ما أمكنش. فقرر حبسه في «العرقانة»، وده سجن شهير بناه واحد اسمه الطواشي سرور شاد الحوش جوه الحوش السلطاني في القلعة سنة ٨٩٥ هـ، في زمن السلطان قايتباي.

قعدوه في الحبس استتابة تلات أيام، وجمع الوالي العلماء وقال لهم نعمل فيه إيه؟ فـ أفتوا بـ قتله.

جابوا النبي الدكروري، وبلغوه إنه لو ما رجعش عن اللي فـ دماغه، هـ يكون مصيره الإعدام، فـ كان رده عليهم:

فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل

فـ راحوا نفذوا فيه حكم الإعدام، وسابوا جثته تلات أيام لـ حد ما عفنت، وراحوا دفنوه في مكان مش معروف لـ العامة، خوفًا من إن قبره يتحول لـ مكان مقدس بين أتباعه من الغوغاء والعامة والدهماء.

الراجل اتقال فيه شعر بـ العامية، وبـ المناسبة ماهوش الوحيد في التاريخ اللي كان كده، ده مصر شافت في التلاتين سنة اللي فاتوا دول، يعني من التمانينات لـ دلوقتي، ٢٦ واحد زي كده بـ حسب دراسة عملها ياسر ثابت، فاكر منها كويس واحد ظهر في إسكندرية أيام التمانينيات اسمه صلاح بريقع كان له أتباع كتير، وكانت قضية هزت مصر كلها.

إنما تفتكر الراجل الدكروري ده اللي مات كان مصدق إنه فعلًا نبي؟

أكيد، مش كده؟!

نفيسة البيضا

أم المماليك

مش بس شجرة الدر اللي كانت ست قوية، وعاشت حياة حافلة عنيفة، وحكمت وعليت وانهارت، وسيرتها تنفع مسلسل، فيه ستات كتير شافتهم مصر كده، بـ تعجبني منهم سيرة ولية قادرة اسمها نفيسة البيضا، اللي مش عارف ازاي كتّاب الدراما غافلين عنها.

محدش يعرف بـ الظبط الست دي جات منين، بس هي مش من مصر، ولما جات دخلت جواري علي بك الكبير المملوك الشهير، وكانت على درجة عالية من الثقافة واللباقة لـ درجة إنها اتعلمت اللغة العربية وكانت شاطرة في أمور الأدب وخلافه، فـ راح علي بك الكبير أعتقها، واتجوزها، وبنى لها بيت من بابه، بـ يطل على بركة الأزبكية في درب عبد الحق.

وهي على ذمة علي بك الكبير، حبها مملوك تاني اسمه مراد بك، اللي قاريين في الفترة دي يعرفوه كويس، بس مش باين من سيرتها هل كانت بـ تخون جوزها معاه ولا لأ، على أي حال الأمر ما طولش كتير، لـ إن مراد

بك تحالف مع مملوك منافس لـ علي بك الكبير، اسمه محمد بك أبو الدهب، وقرروا إن مراد بك يقتل علي بك الكبير.

مراد اشترط علشان ينفذ المطلوب ده إنه يتجوز نفيسة البيضا بعد ما يموت علي بك الكبير، وده اللي حصل فعلًا، وأنا تقديري إنها ما حبتش حد، هي كانت طول الوقت حريصة على حياتها هي ومكانتها في المجتمع، فـ لما مات علي بك الكبير، قالت إن الحي أبقى من الميت، واتجوزت قاتل جوزها.

كوّنت هي من الجوازتين ثروة عظيمة، واشتغلت في التجارة لـ وحدها وبقى لها أملاك، وعاشت في ضل مراد بك، لكن ده ما منعهاش من إنها تنتقده لما يغلط، وعلنًا، وكـ العادة الموقف ده مش هـ يطول كتير، وهـ تيجي الحملة الفرنسية، فـ مراد بك يهرب لـ الصعيد.

ما راحتش نفيسة البيضا مع جوزها، على العكس تمامًا، كان عندها علاقات جيدة بـ الفرنسيين، وعلى راسهم نابليون شخصيًا، اللي اداها ساعة ألماظ هدية، ولما الفرنسيين فرضوا فدية على أصحاب الأملاك مقابل الاحتفاظ بـ أملاكهم، دفعت هي فديتها الساعة دي، فـ رجعت لـ نابليون، اداها لـ عشيقته، وفضل نابليون حريص على حسن علاقته بـ نفيسة حتى بعد ما رجع أوروبا.

فضلت هي على ذمة مراد بك، وفاصلة نفسها عنه من حيث المادة والمعاملات التجارية والسياسية، وهو علاقته بالفرنسيين راحت وجات لـ حد ما ادوله الصعيد يحكمه بـ اسمهم، ومات هناك بـ الطاعون، واندفن في سوهاج نفس السنة اللي خرجت فيها الحملة الفرنسية من مصر.

ده كان معناه إن نفيسة فقدت الفرنسيين اللي كانوا حاميينها، وفقدت

الزوج اللي هي على ذمته، في مجتمع لازم الست يبقى لها راجل، ولو شكليًا، فـ هي على طول لقيت البدايل، فـ مكان الفرنسيين ربطت نفسها بـ البريطانيين، وكانت علاقتها بيهم كويس، واتجوزت واحد اسمه إسماعيل بك المحتسب الأول في مصر.

في الفترة دي، كانت هي المحافظة الأولى على أوضاع المماليك وأسرهم، وكان كتير من أسرهم في حمايتها، وبـ تصرف عليهم، فـ سموها «أم المماليك»، لكن الحفاظ على كل حاجة طول الوقت كان مستحيل.

لما جه خورشيد حكم مصر، اضطهدها واعتقلها في بيت السحيمي، وبعده محمد علي جردها من كل أملاكها، أما إسماعيل بك، جوزها، فـ اتقتل في حرب وخلافات بين المماليك، وقضت أواخر حياتها، عجوزة، فقيرة، وكانت الناس بطلت تتابع أخبارها، لـ درجة إنهم نسيوها، لـ إنه زي ما قال الأبنودي:

الدنيا ماشية وشعبنا نساي

لـ الأسف..

انتفاضة الدراويش

يا عزيزي كلنا لصوص

بـ مناسبة مراد بك، الراجل ده كان شريك إبراهيم بك في الحكم، والجبرتي بـ يحكي حكاية لطيفة عن طريقة حكم البلد في عصرهم.

قال لك إيه، مراد ساب القاهرة المحروسة سنة ١٢٠٠ هـ، وطلع على بحري، وكان له مهمة معلنة، ومهمة تانية معلنة برضه، بس مش معلنة بـ شكل رسمي، إنما بـ شكل اللي بالي بالك يعني.

المهمة المعلنة كانت إنه يقبض على اتنين من الحرامية وقطاع الطريق، واحد اسمه رسلان، وواحد اسمه النجار، أما المهمة الحقيقية فـ كانت تحصيل الأموال والإتاوات من الأهالي، واللي يرفض يفشخوه، وينهبوا بيته، وممكن ياخدوا عياله عبيد، وحريمه سبايا، يعني عتريس جنبهم ميكي ماوس.

بس هل معنى إن مراد بك سافر بحري، إنه ساب سكان القاهرة كده في حالهم؟ ودي تيجي برضه؟

هو كان سايب في القاهرة رجالة، على العهد باقيين، الرجالة دول كان

الواحد منهم بـ يتسمى «السنجأ» أو «الصنجق»، وكان من السناجيء دول واحد اسمه حسين بك الشفت، ويبدو إنه كان راجل غشيم شويتين، يعني معندوش حرفنة في اللعبة.

الشفت ده راح طلع على الحسينية يوم خميس، وكانت الطلعة على دار بتاعة واحد اسمه أحمد سالم النجار (مالوش دعوة بـ النجار بتاع بحري)، أحمد سالم ده كان مسئول عن دروايش سيدي البيومي، ولما نقول دراويش، يعني تكية، يعني أموال وتبرعات وخلافه. كل ده نهبه الشفت الراجل بتاع مراد بك.

تاني يوم حصلت انتفاضة من دراويش الشيخ البيومي، جمعوا نفسهم، وانضم عليهم شوية عوام على شوية أوباش جعيدية على ما شابه (الجعيدي يعني واحد شبه متسول متدروش ومالوش شغلة ولا مشغلة) المهم، إن التجمع طلع عمل أذعرينة ناحية جامع الأزهر، وقفلوا بيبان الجامع، وقفلوا الدكاكين، وحصل هرج ومرج بـ يطالبوا بـ حقهم اللي خده منهم حسين الشفت، ويا قاتل يا مقتول.

اتجمع البشر دول حوالين واحد من مشايخ الأزهر اسمه الشيخ أحمد الدردير، اللي طيب خاطرهم بـ كلمتين، وتبنى قضيتهم، وقال لهم حاجة شبه: «يا نجيب حقهم يا نموت زيهم»، اللي هو إحنا هـ نهجم عليهم، زي ما هجموا علينا، وننهب بيوتهم زي ما نهبوا بيوتنا، ومشوا يطوفوا في الحارات والشوارع في بولاق وغيرها، وهم بـ يهتفوا: يا أهالينا انضموا لينا، وهكذا أشياء.

الهرجلة اللي حصلت وصلت لـ أعلى مستوى، واجتمع مسئول حفظ الأمن، محمد سليم مستحفظان، مع محمد أرناؤط الجلفي، كتخدا إبراهيم بك (الكتخدا أقل من الأغا بـ شوية) وتعمل إيه يا عبرحيم؟ تعمل إيه يا عبرحيم؟ قالوا نروح لـ الشيخ أحمد الدردير.

• إيه اللي يرضيكم يا شيخ أحمد؟

ـ حق الناس يرجع لهم.

• يرجع يا شيخ أحمد، اكتب لنا قائمة بـ الحاجات اللي نهبها الشفت ده، وادينا مهلة، وإحنا هـ نرجعها بـ إذن اللـه.

آه، بس الكلام سهل، الفعل هو اللي صعب، هـ يرجعوا الحاجات ازاي؟

راحوا على إبراهيم بك، سليم وأرناؤط والدردير، وعملوا اجتماع، وإبراهيم بك بعت لـ حسين بك الشفت جابه، فـ حضر الشفت.

• رجع الحاجات يا حسين بك.

ـ مش هـ أرجع حاجة.

• ازاي يعني؟

ـ كده.

• ازاي بس يا حسين بك، دي حاجات الناس، هـ تنهبها يعني؟

ـ آه هـ أنهبها، ومش أنا بس اللي بـ أنهب، يا عزيزي كلنا لصوص، أنا بـ أنهب، وإنت يا إبراهيم بك بـ تنهب، وإنت يا سليم وإنت يا أرناؤط، كلنا بـ ننهب.

مؤكد إن حسين بك الشفت كان فاهم الشعب المصري كويس، وإنه زي النحاس يسخن بـ سرعة، ويبرد أسرع، وإن الحكاية هـ ترسى على فاشوش، أو بـ حسب تعبير الجبرتي «بردت القضية»، ولا جابوا حقهم ولا ماتوا زيهم ولا يحزنون.

منه له

جي رايح منه له

الجبرتي

حكاية الحكايات

«مصر اللي عمر الجبرتي لم عرف لها عمر»

البيت ده كتبه صلاح جاهين في قصيدة «على اسم مصر»، واللي قاصد بيه إن عمق مصر التاريخي أبعد من «التأريخ»، ورمز لـ عملية «التأريخ» دي بـ «الجبرتي»، بـ اعتباره أصل الكار، وزتونة الشغلانة، وهو كذلك فعلاً.

الجبرتي حكى حكايات كتير، فـ إحنا هنا قررنا نحكي حكايته، على قد ما نقدر يعني.

عبد الرحمن الجبرتي أصوله ترجع لـ بلد اسمها «جبرت» في أريتريا، أبوه كان من علماء الأزهر قبل وصول الحملة الفرنسية، وما عرفتش إذا كان أبوه هو اللي جه من أريتريا ولا اتولد في مصر وجدوده هم اللي جم، بس المعروف إن حسن الجبرتي، أبوه، كان غني وعنده كذا بيت، والبيوت دي كانت مليانة كتب ومخطوطات، وبـ تشغي من طلاب الأزهر.

لما وصل عبد الرحمن لـ سن ٢١، أبوه اتوفى، وساب له ثروة معقولة،

وكان طبعًا علمه في الأزهر مع الطلاب المجاورين، وهو كان زاهد في الدنيا شوية، مش مهتم بـ جمع المال، فـ استغل الحاجتين اللي ورثهم عن أبوه، المال والعلم، في إنه يلف مديريات مصر المحروسة، ويطلع على أحوال البلاد والعباد، وبدأ رحلته مع التدوين.

الكتاب الهائل اللي سابه الجبرتي، والمشهور بـ اسم تاريخ الجبرتي، هو سماه: «عجائب الآثار في التراجم والأخبار»، وده ما كتبوش مرة واحدة، كان بـ يقعد يسجل كل حاجة لـ فترات طويلة، ويدور على مصادر ومراجع، ويدوّن الأسماء.

بدأ بـ المشايخ، ومين كان شيخ لـ الأزهر، ومشايخ آخرين. وبعدين اللي اشتهروا بـ العلوم الفقهية والعقلية والنقلية والشعر والأدب والخطابة وكده يعني. ثم أسماء الأمراء واللي مسك منهم مشيخة البلد ومساعديه. واستعان الجبرتي في شغله ده بـ ناس كتير أهمهم صديقه المشهور إسماعيل الخشاب.

وهو عنده ٤٤ سنة، جت الحملة الفرنسية على مصر، وهو خد موقف تقدر تقول عليه محايد، مش قلة وطنية، بس هو حس إن مهمة التأريخ ما تقلش أهمية عن أي مهمة تانية، فـ بدأ يسجل كل شاردة وواردة، وكان طبيعي إنه ما يبقاش محبوب، لا من الفرنساويين، ولا من اللي بـ يقاوموهم، ومع ذلك الجميع كان عارف أهميته وأهمية اللي بـ يعمله، الأهمية دي اللي هـ يدفع تمنها غالي بعدين.

بعد خروج الحملة الفرنسية كتب كتابه المشهور، والكتاب اتقابل بـ حفاوة، خصوصًا إنه مش بس سجل اللي شافه، ده سجل الـ ١٠٠ سنة اللي سبقوه، بـ إنه قعد يسأل ويستقصى، ويقابل الناس اللي عاصروا الأحداث على قد ما يقدر، وخرج بـ سِفر عظيم، مليان حكايات، ومكتوب بـ لغة أقرب لـ عامية الفترة اللي عاش فيها.

لما جه محمد علي مسك مصر، مكنش فيه بينه وبين الجبرتي عمار، هو كان فاهم أهمية الراجل، والراجل كان مقرر يعمل شغله كـ مؤرخ، بس محمد علي فيما يُروى كان عايزه كاتب ملاكي يكتب عن عظمته وهو قد إيه بـ يدفع مصر لـ الأحسن.

وصلت العلاقة بينهم لـ طريق مسدود، لـ حد ما جات سنة ١٨١٩، وغيرت مسار حياة الجبرتي ١٨٠ درجة، لـ إنه كان عنده ابن اسمه خليل، والابن ده اتقتل، ويقال والله أعلم إن اللي قتله محمد علي باشا، أو بـ الأحرى أمر بـ قتله، علشان يحرق قلب أبوه عليه.

أول ما حصلت المصيبة دي، عبد الرحمن الجبرتي، بطّل يكتب، وبطّل يقرا، بطّل حتى يخرج من بيتهم، واتعمى، وحالته بقت بـ البلا، وكانت النتيجة الطبيعية لـ الحالة الكرب دي إنه يتوفى بعد ٣ سنين من وفاة ابنه، سنة ١٨٢٢، وهو لسه فيه شغل كتير ما تموش.

وربنا يرحم الجميع.

تنظيم القروش المضروبة

الشيوخ المزورين

الحكاية دي حصلت أوائل عهد محمد علي. يعني أواخر سنة ١٢٢٤ هجريًا، ١٨١٠ ميلاديًا، وحكاها الجبرتي، وكتب في آخرها: لا حول ولا قوة إلا بـ الله.

كان فيه واحدة ست، راحت سوق الغلة اللي في باب الشعرية، واشترت قمح. دفعت تمن القمح قروش، والقرش وقتها كان حاجة ليها قيمتها، وعمومًا الفلوس المصرية كان ليها اعتبارها، والشوام يقولوا على الفلوس مصاري أو مصريات، لـ إن الفلوس مصرية.

المهم، الست دفعت القروش، وبعد ما مشيت، البياع وداها لـ الصيرفي، فـ بـ يجرب القروش لقاها مزورة (مضروبة)، كانوا يعرفوها لما ييجوا يحكوها فـ تتمسح معاهم، وكانوا يقولوا عليه «براني» أو «زغلي»، استنوا الست يمكن تيجي تاني، الغريب إنها فعلًا جت. ومش بس جت، دي جت بـ فلوس مضروبة زي إخواتها الأولانيين.

التجار ففشوها وخدوها على الأغا (مدير الأمن) ولازم تقولي لنا جبتي منين الأموال دي. فـ راحت الست قالت لهم إن جوزها هو اللي اداها الفلوس، جوزك بـ يشتغل فين؟ جوزي عطار في سوق الأزهر.

أوبس، الأزهر شخصيًا.

بس ولا يهمنا، أزهر أزهر، راحت الشرطة لـ شيخ الأزهر، وكان اسمه الشيخ الشرقاوي، وخلوه يجيب الراجل جوز الست، وتعالى يا عم، مين اداك القروش دي؟ فـ حاجة كده زي مسلسلات رمضان، الراجل قال لـ الشيخ الشرقاوي: أنا خدت الفلوس دي منك إنت. تا تنا تا.

مني أنا ازاي يا راجل؟ أنا بريء من الفلوس دي براءة الذئب من دم ابن يعقوب.

الراجل العطار أوضح إنه مش من الشيخ نفسه، لكن من فلوسه، لـ إن اللي دفعها حد تبع الشيخ الشرقاوي كان جي يشتري بيها حاجات. فـ الشيخ الشرقاوي قال لـ الشرطة، لو كان ابني أنا بريء منه.

مين بـ الظبط من عند الشيخ اداك الفلوس؟

فلان الفلاني.

راحوا يجيبوا فلان الفلاني، ما أمكنش لـ إنه هرب، فـ قرروا احتجاز الراجل ومراته لـ حد ما يبان لهم صاحب، وطبعًا سابوا شيخ الأزهر.

الراجل ومراته حسوا إنهم هـ يروحوا في الرجلين، فـ قروا واعترفوا بـ إنهم عارفين مين اللي بـ يزور الفلوس، واتضح إنهم من طلبة الأزهر. فـ بدؤوا يقفشوا طلبة الأزهر المتورطين، واتضح إنها شبكة كبيرة عندهم عِدد (جمع عدة) لـ تزوير القروش المصرية، والأمر اتفضح، وبدأ طلبة

الأزهر يستخبوا، ووقتها بقى معنى إنك طالب في الأزهر، فـ أنت متهم بـ تزوير العملة إلى أن يثبت العكس.

المهم دلوقتي مين اللي عمل العِدد دي، فـ جابوا شيخ الحدادين، اللي قال إن العدد دي مش صناعة مصرية، وإنما هي صناعة شامية علشان واحد اتنين تلاتة، وقتها العدة المصرية بتاعة الحدادة كان ليها سمات مميزة، فـ اتضح إن تنظيم تزوير العملة، تنظيم دولي، جايب عِدد من الشام مع طلبة الأزهر اللي وافدين من هناك، وقعدوا يتقصوا الأماكن اللي فيها العدد، لـ ما وصلوا لـ ١٦ عدة.

جمعوا العدد دي، وبعتوها لـ محمد أفندي ناظر المهمات (وزير الأشغال)، وحبسوا المتهمين في سجن القلعة عند كتخدا بيك (محافظ القاهرة)، وكان كل ما يتقبض على حد يقعد كام يوم، ويعترف على حد فـ يطلع طالب في الأزهر من المجاورين.

الحكاية طولت شوية، وسببت فزع في الأسواق، فـ كان كل ما حد يشتري حاجة ويدفع تمنها قروش، يروح لـ واحد صيرفي (متخصص عملة)، ويقولوا له: شوف لنا يا عم القروش دي، سليمة ولا أزهرية؟

كان ممكن ينتشر على ألسنة الناس إن أزهرية يعني مضروبة أو مزورة أو مغشوشة، لولا جهود شيوخ الأزهر في حظر استخدام الكلمة مرتبطة بـ الجامع العريق.

وعدّت.

شامبليون

ادلع يا رشيدي

جت الحملة الفرنسية على مصر ١٧٩٨، بعدها بـ سنة كان جنود الحملة بـ يحفروا خندق في مدينة رشيد، فـ وقعوا على حجر عليه كتابة كتير، فـ سلموه لـ المسئولين عن الحملة، ونابليون قرر إنه يحطه في المجمع العلمي، اللي عملته الحملة.

رغم إن الفرنساويين قعدوا في مصر سنتين بعدها، بس ما وصلوش لـ أي حاجة بـ خصوص الكتابة اللي على الحجر، يعني لا فكوا الشفرة ولا اكتشفوا اللغة الهيلوغريفية، ولا حتى كان فيه في الحملة حد اسمه شامبليون من أساسه، وطبعًا القصر اللي في شارع شامبليون مكنش ساكن فيه زي ما الناس فاكرة.

لما جت الحملة تخرج من مصر، كانوا عايزين ياخدوا معاهم الحجر اللي اكتشفوه في رشيد، واللي هـ يبقى اسمه أكيد «حجر رشيد»، فـ مين وقف لهم؟ الإنجليز، قالوا لـ الفرنساويين، زي ما دخلت خفيف تخرج خفيف، وكل الآثارات اللي لقيتوها دي تلزمنا.

الكلام ده مكنش خاص بـ حجر رشيد لـ وحده، محدش كان لسه فاهم أهمية البتاعة دي إيه، والإنجليز خدوا الحجر، وبعدها بـ سنة في ١٨٠٢، حطوه في المتحف البريطاني (مكانه لـ حد دلوقتي) ثم بدؤوا يحاولوا يفهموا إيه الموضوع.

الحجر كان عبارة عن منشور ملكي، كتبه بطليموس الخامس في عهد البطالمة. والمنشور مكتوب بـ تلات لغات:

اللغة اليونانية القديمة

اللغة الهيروغليفية

اللغة الديموطيقية.

التالتة دي (الديموطيقية) كانت اللغة الشعبية اللي بـ يتكلم بها العامة والغوغاء من شعب مصر، في الوقت اللي كانت فيه اللغة الهيروغليفية بـ يتكلم بها كبار الكهنة والطبقة الحاكمة.

الإنجليز ما فهموش اللغة دي، فـ راحوا نسخوا اللي مكتوب على الحجر زي ما هو، وبعتوه لـ كل المهتمين في العالم على أساس يشوفوا مين ممكن يوصل لـ إيه.

أول هام، اكتشفوا حكاية إنه مكتوب بـ تلات لغات، بعدها بـ كام سنة جه واحد اسمه توماس يونج سنة ١٨١٤، واكتشف إن اللغة الهيروغليفية كانت بـ تستخدم رموز صوتية لـ نطق الكلمات الأجنبية، لـ حد ما جه دور شامبليون.

جان فرانسوا شامبليون، شاب فرنساوي عنده حاجة وعشرين سنة، وهو صغير كان فقير لـ درجة إنه ما راحش مدارس، بس كان عنده موهبة

في اللغات، فـ خد دروس خصوصية في اليونانية واللاتينية، وبـ يقولوا إنه لما وصل سنه ٩ سنين، كان بـ يقرا شغل هوميروس، زي كده ما واحد مصري وهو عنده تسع سنين حافظ المعلقات وفاهمها.

النقلة اللي حصلت لـ شامبيلون إنه راح مدرسة ثانوية في مدينة جرينوبل، وهناك اتتلمذ على إيد واحد اسمه فورييه، وده كان سكرتير لـ البعثة العلمية التي جت مصر مع حملة نابليون بونابرت، فـ فورييه ده هو اللي خلى شامبليون يدرس علم المصريات، من خلال مجموعته الخاصة من المقتنيات الأثرية، اللي قدر يهربها من الإنجليز.

قبل ما يقفّل شامبيلون ١٧ سنة، كان مقدم بحث عن الأصل القبطي لـ أسماء الأماكن المصرية في أعمال المؤلفين اليونان واللاتين، وقضى ثلاث سنوات في دراسة اللغات الشرقية والقبطية على إيد كبار العلماء، وبعدين سافر باريس يشتغل أول أمين لـ المجموعة المصرية في متحف اللوفر، واشتغل أستاذ كرسي لـ الآثار المصرية في الكوليج دي فرانس، وعمل معجم في اللغة القبطية، يعني مكنش شاب مغامر ولا حد هفأ، رغم سنة الصغيرة (بـ المناسبة مات وهو عنده حاجة وأربعين سنة).

اللي عمله شامبليون إنه اكتشف الرموز الصوتية لـ اللغة المصرية القديمة، يعني دي جيم، ودي خاء وكده يعني، الكلام ده كان سنة ١٨٢٢.

فيه ناس بعدين شككت في أهمية اللي عمله شامبليون، وناس قالت إنه كان عنده أخطاء، بس ده كلام تاني خالص.

والله أعلى وأعلم

اتحاد الإذاعة والتلفزيون

ع الأصل دور

جاستين، ده اسمه اللي لما اتولد اختاروه له، ونادوه بيه، واللي اختاروه مش أبوه وأمه، هو أصلًا لقيط، كل المعروف عنه إن أبوه وأمه طلاينة، واللي رباه واحد طلياني، بس هو اتولد واتربى في باريس، وكان ميلاده سنة ١٨٤٦.

يدوب عدى عشر سنين، وبدأ شغفه بـ التاريخ، تحديدا التاريخ المصري الفرعوني، فـ درس الهيلوغريفية، وبعدين اللغة العربية، ولـ صغر سنه أتقنهم بـ سرعة، وبقى واضح إن مستقبله هـ يكون هناك، في الشرق، بـ الذات بـ الذات تحت سفح الأهرامات.

كانت مصر وقتها بـ تستعين بـ عالم مصريات فرنسي اسمه ماريت، اللي كان طبيعي يسمع عن الطفل المعجزة، وانتهز فرصة وجوده في فرنسا، وادى لـ جاستين نصين بـ الهليوغريفية، وكان ماريت لسه مكتشفهم في مصر طازة، وكانوا صعبين في الترجمة، بس هو ترجمهم في بحر أسبوع، كـ أسرع ترجمة حصلت لـ حد وقتها.

اللي كان مدهش مش بس سرعته في الترجمة، ولا إن عمره وقتها كان ٢١ سنة بس، لكن كمان إنه عمل كده من غير ما يزور مصر أصلًا، هو درس المصريات اعتمادًا على الآثار اللي كانت موجودة في فرنسا، خصوصًا في متحف اللوفر.

كان طبيعي بعد كده إنه يبقى مدرس لـ المصريات، ويناقش أول رسالة دكتوراه عن المصريات (الإيجبتولوجي) في جامعة السوربون بـ فرنسا، ده كان في الوقت اللي المصريين بـ يتعاملوا مع الآثار بـ اعتبارها مساخيط، وفيه اللي بـ يعتبرها أصنام لازم نكسرها.

لما ناقش الدكتوراه كان جاستين عنده ٢٤ سنة، فـ عينوه مدرس مساعد، ولما بقى عنده ٢٦ سنة عينوه أستاذ كرسي، وده منصب كبير، وبقت دروسه في علم المصريات ظاهرة في فرنسا، بـ يحضرها جمهور كبير كـ إنه جمهور مسرحية ناجحة، فـ كانت دايمًا كومبليت، ومفيش مكان لـ رِجل.

أظن بعد كل ده ما يصحش إنه ما يجيش مصر، ويبدأ يحوّل علمه النظري لـ اكتشافات علمية وعملية، فـ جه المحروسة، وأستاذه مارييت بـ يموت، اللي فعلًا مات بعد أسبوعين من وصوله، الكلام ده كان في يناير ١٨٨١.

مسك جاستين مدير مصلحة الآثار المصرية، اللي هي دار الآثار القديمة (الأنتكخانة) اللي بقى اسمه شارع محمود بسيوني، وعمل جاستين أول مطبعة هيروغليفية وعربية، وكان إلى جانب ده أمين المتحف المصري لـ الآثار في بولاق، ووصل دخله من شغله في الآثار لـ ألف جنيه سنويًا، وده رقم فلكي. وكان عايش في عوامة على حافة النيل اسمها عوامة «المنشية» اللي كانت من ممتلكات إدارة خدمة الآثار. بعدها أصدر الخديوي عباس حلمي الثاني فرمان بـ تعيينه مدير عموم المتاحف المصرية، ومدير عموم الآثار التاريخية.

كمل صاحبنا الحفريات التي كان بـ يعملها مارييت في سقارة، ووسّع نطاق البحث، وما نسيش أصله كـ عالم لـ اللغة الهيلوغريفية، فـ كان مهتم بـ المقابر اللي فيها نصوص فرعونية مهمة تُثري اللغة الهيروغليفية. واكتشف آلاف الآثار فـ صوّرها وطبعها، وأنشأ المعهد الفرنسي لـ الآثار الشرقية في القاهرة، وطبعًا كان أول مدير له، وتوسّع المعهد فـ درّس كل الآثار المصرية، سواء إسلامية قبطية كله.

كمان اكتشف جاستين أكثر من ٤ آلاف نص بـ الهيروغليفية، واشتغل في معبد إدفو وأبيدوس، واستكمل أعمال إزالة الرمال عن أبو الهول، ما هو أبو الهول كان مدفون تحت الرملة سعادتك، والأجانب هم اللي طلعوه.

إنت أكيد زهقت من طول الكلام، والراجل عمل وسوى وعمل وسوى.

عندك حق، بـ اختصار، الراجل ده كان جامد جدًا، واكتشف آثار، كل واحد دفع جنيه علشان ييجي يشوفه، هو يستحق منه قرش.

كلنا نعرف اسم الراجل ده، وبـ نردده كتير، بس ما نعرفش عنه حاجة.

الراجل ده هو اللي إحنا عارفينه بـ اسم «ماسبيرو»

أيوه، ماسبيرو، كورنيش النيل، اتحاد الإذاعة والتلفزيون.

١٨٦٢ _ ١٩٦٢ _ ٢٠٦٢
عليه العوض ومنه العوض

سنة ١٨٦٢، كان فيه دولة متخلفة اسمها اليابان، الدولة دي كانت بـ تتطلع إنها تبقى زي العالم المتقدم، فـ قررت تبعت بعثة، اسمها «بعثة الساموراي»، تروح دول تانية، تحاول تفهم إيه عند الدول دي مش موجود عندهم، فـ قرروا يبدأوا الجولة من مصر.

كان في البعثة دي مفكر اسمه فوكوزاوا، ده اللي كان بـ يسجل الملاحظات، وكتبها في مذكراته، وبـ المناسبة الوفد ده ليه صورة جنب الأهرامات، مازالوا محتفظين بيها في البرلمان الياباني.

وقتها مكنتش قناة السويس اتحفرت، فـ كان لازم ينزلوا في السويس، وياخدوها بري لـ القاهرة، يقعدوا كام يوم، يطلعوا على إسكندرية، ومنها على فرنسا، وأول حاجة لاحظوها الكائن الغريب اللي نقلهم من السويس لـ القاهرة، واللي اندهشوا كتير من سرعته الجبارة (طبعا قياسًا لـ زمنهم).

لما سألوا عرفوا إن ده قطر سكة حديد، مكنش فيه قطورات في العالم

غير في إنجلترا ومصر، وسجلوا ملاحظتهم إن وسيلة المواصلات دي إلى جانب إنها سريعة، فـ هي نضيفة، وهم لازم يستفيدوا من ده في تعميم النضافة عندهم.

النضافة مكنتش بس في القطر، كمان لاحظوا النضافة في حمامات القاهرة العامة، اللي لاحظوا ارتفاع سعرها مقارنة بـ الحمامات في طوكيو، وده بـ يعكس رفاهية المواطن المصري، وارتفاع مستوى دخله.

لاحظوا كمان إن مصر فيها اختراع مذهل بـ يوفر كتير من الوقت اسمه «التلغراف» (بـ المناسبة عبد الله النديم بدأ حياته تلغرافجي) وإنه وسيلة مدهشة لـ التواصل، وتكنولوجيا متطورة عليهم أن يدرسوا كيفية إدخالها اليابان.

كمان زاروا الأماكن الأثرية، وزاروا القلعة، وأعجبوا بـ الصحافة والطباعة، وشافوا إن البلد دي تستحق إنها تكون نموذج يحتذي به (ما هو أي نموذج لازم يحتذى بيه، أومال هـ يبقى نموذج ازاي؟) علشان كده، لما بدأوا الإصلاحات الشهيرة بـ اسم إصلاحات الميجي في ستينيات القرن الـ ١٩، كان واحد من أهم هذه الإصلاحات، إرسال البعثات التعليمية إلى مصر ودراسة كل شيء حتى النظام القضائي فيها.

روحي يا أيام تعالي يا أيام

روحي يا سنين تعالي يا سنين

مر قرن كامل، وبقينا في ١٩٦٢، فـ نزلنا درجة، واليابان كانت بدأت تسبقنا كل سنة عشر سنين، فـ مين اللي بعت ناسه مصر يدرسها كـ نموذج يحتذى بيه؟ كوريا الجنوبية.

وقتها كانت كوريا الجنوبية لسه خارجة من حرب مع كوريا الشمالية، وما عندهاش حاجة خالص، لا مية نقية ولا كهربا ولا نظام صحي، وكان

متوسط دخل المواطن الكوري أقل من ٨٠٠ دولار في السنة، حاجة بتاع ٢ دولار في اليوم (النهارده وصل متوسط الدخل هناك ٢٤ ألف دولار في السنة) ما علينا.

زار الوفد الكوري مصر، ووقتها كان رئيس كوريا هو أبو الرئيسة الحالية، وكان اختيار مصر على أساس إن مصر من دول عدم الانحياز، وصاحبة تجربة في التنمية المستقلة والذاتية، وكان عبد الناصر مع جواهر لال نهرو بتاع الهند، وجوزيف بروز تيتو بتاع يوغسلافيا؛ عاملين قلق في العالم كله.

الوفد الكوري سجل ملاحظاته، وشافوا إن مصر دخلت عصر التصنيع التقيل، وإنها قدرت، سبحان الله، تساهم في عملية صناعة السيارات صحيح بـ التقفيل، بس وقتها كوريا الجنوبية تقريبًا ما تعرفش العربيات في شوارعها، اللي كانت أساسًا مش مرصوفة (النهارده كوريا واحدة من أهم خمس دول عالميًا في إنتاج السيارات بـ الكامل، مش بس تقفيل).

المهم، إن الوفد الكوري، زي الوفد الياباني، شاف إنهم لازم يحطوا مصر قدام عينيهم إذا حبوا يعملوا نهضة وتقدم.

طيب اسرح كده بـ خيالك، وحاول تشوف معايا مصر سنة ٢٠٦٢، وقول لي اسم دولة واحدة ساعتها ممكن تيجي لـ مصر وتعتبرها نموذج؟

مفيش؟!

طيب، عليه العوض ومنه العوض..

والي خديوي سلطان ملك رئيس

الحكام الحكام الحكام

والله كان الود ودي أبدأ معاك من أيام الفراعنة، بس معلش، ممكن في سياق تاني، خلينا نبدأ من محمد علي، عايز أمشي معاك في لقب حاكم مصر عبر الميتين سنة وشوية دول.

محمد علي نفسه كان والي عثماني، يعني مصر تابعة لـ الدولة العثمانية، حتى لو ليه وضع خاص، هو كان أعلن نفسه «خديوي» وده ترقية عن الوالي، بس الباب العالي العثماني رفض يعترف بـ الترقية دي، وفضل محمد علي باشا والي مصر، بعديه جه ابنه إبراهيم، ثم عباس حلمي الأول، ثم سعيد، وكل دول كانوا ولاة زي محمد علي نفسه.

لما جه عباس بعد سعيد، خد لقب خديوي، وكان الحاكم الوحيد التابع لـ الدولة العثمانية، بس فيه رواية بـ تشكك في إن عباس أول خديوي، لـ إن فيه وثيقة بـ تقول إن محمد علي باشا نفسه بعد ما هدّى الأوضاع مع الباب العالي العثماني، ادوله لقب خديوي، والوثيقة كانت عبارة عن شكر من محمد علي لـ الباب العالي على منحه اللقب.

يبدو إن اللقب مكنش بـ يمثل حاجة لـ حاكم طموح كان نفسه يبقى بديل عن الدولة العثمانية ذاتها، فـ انتهى بيه الأمر إنه يحمد ربنا على إنهم يسيبوه يحكم مصر هو وولاده من بعده، فـ مات اللقب، ولما جم ولاده من بعده محدش اهتم إلا إسماعيل، فـ خد لقب خديوي.

بعد إسماعيل هـ ييجي توفيق، برضه خديوي، وأثناء حكمه حصل الاحتلال البريطاني على مصر، بس هو فضل خديوي تابع لـ الباب العالي العثماني، يعني مصر وقتها كان ليها تلات حكام أجانب: الخديوي من أسرة محمد علي، اللي هو تابع لـ الدولة العثمانية التركية، وفيه احتلال إنجليزي فوق البيعة، حاجة آخر أبهة.

بعد توفيق ييجي الخديوي عباس حلمي التاني، سنة ١٩١٤، كان الخديوي بـ يصيف في الأستانة، وكتشنر الإنجليزي (القائد الأعلى لـ القوات المسلحة في مصر) موجود في لندن، فـ قامت الحرب العالمية الأولى، فـ لا ده رجع ولا ده رجع، عباس حلمي اتعزل، والتاني بقى وزير الحرب البريطاني.

اللي عزل عباس حلمي كان الإنجليز، اللي أعلنوا الحماية على مصر، وبـ كده انقطعت صلة مصر بـ الدولة العثمانية نهائيا، لـ أول مرة من سنة ١٥١٧، أوووووف، بس أسرة محمد علي فضلت، وفضل الاحتلال الإنجليزي طبعًا، فـ كان فيه مندوب سامي بريطاني، والإنجليز اختاروا واحد من أسرة محمد علي يحكم هو حسين كامل.

الإنجليز منحوا حسين كامل لقب سلطان علشان يبقى مكافئ لـ السلطان

العثماني، وحكم السلطان حسين كامل تلات سنين. ومات، فـ تولى بعده أحمد فؤاد الأول، اللي بقى السلطان أحمد فؤاد، وبعد شوية، سنة ١٩٢٢، مصر هـ تحصل على الاستقلال عن بريطانيا، ولو كان استقلال اسمي، فـ السلطان يصدر مرسوم سلطاني بـ إنه ما بقاش سلطان، ويمنح نفسه لقب جلالة الملك، وكان نص المرسوم:

قد منّ الله علينا بأن جعل استقلال البلاد على يدنا،

وإنا لنبتهل إلى المولي عز وجل بأخلص الشكر،

وأجمل الحمد على ذلك،

ونعلن على ملأ العالم

أن مصر منذ اليوم

دولة متمتعة بالسيادة والاستقلال

ونتخذ لنفسنا لقب:

صاحب الجلالة ملك مصر

ليكون لبلادنا ما يتفق مع استقلالها

من مظاهر الشخصية الدولية وأسباب العزة القومية».

بعد فؤاد هـ يتولى ابنه الملك فاروق (اللي كلنا عارفينه) واللي هـ يتعزل سنة ١٩٥٢، ويبقى ملك مصر هو أحمد فؤاد التاني (لسه عايش)، اللي كان طفل، وتعيين وصي على العرش، لـ حد إلغاء الملكية ١٩٥٣، وإعلان الجمهورية، ويبقى حاكم مصر اسمه رئيس الجمهورية، اللي لسه مستمرة لـ حد النهارده.

الدعارة القانونية

شيوخ العرصات

أقدم عملية تنظيم لـ الدعارة في مصر كانت في أواخر القرن السادس الهجري، في زمن الخليفة الفاطمي «العزيز بالله»، لـ إنه فرض ضريبة على بيوت الدعارة، اللي اتسمت قانونًا «بيوت الزواني» (أحب الصراحة)، والضريبة اتسمت الحقوق السلطانية.

بعدين جم المماليك، وثبتوا على العهد، بعديهم جم العثمانيين، واستمروا هم كمان بس حطوا التاتش بتاعهم، فـ سموا بيت الدعارة «كرخانة»، لـ إن كري بـ التركي يعني الزوجة، وخانة يعني مكان، زي المهندس خانة والأنتيك خانة والأجز خانة، وهلم جرًا.

من التاتشات اللي عملها العثمانيين إنهم عملوا قسم مخصوص في الشرطة لـ الحكاية دي، زي بوليس الآداب كده، بس لـ حصر الدعارة في شكلها القانوني، فـ أجبروا كل بنات الليل في بر المحروسة على تسجيل أسماؤهم عن «الصول باشي»، اللي هو قائد الأمن، وعينوا أربعين مساعد ليه، سموهم

«شاويشية باب اللوق»، كمان عينوا له تلات مساعدين لـ جمع الضرايب من الستات، سموهم «شيوخ العرصات»، وكلمة عرصة في اللغة العربية تعني «الحوش» أو «ساحة البيت»، فـ شيوخ العرصات يعني المختصين بـ جمع «ضرايب البيوت»، كناية عن بيوت الدعارة، ومن هنا ارتبطت كلمة العرصات بـ المعنى الأبيح.

لما جات الحملة الفرنسية على مصر، طوروا بيوت الدعارة، وخلوها ترتبط بـ حاجات تانية زي شرب الكحوليات والرقص، وبقى فيه كنترول مش بس على بنات الليل، لكن كمان على الزباين، وبقى اللي يدخل الأماكن دي لازم يدخل بـ تذكرة (أو أبونيه من السلطة).

بعد الفرنساويين هـ ييجي محمد علي باشا، ومصر هـ تتملي أجانب، ومعاهم هـ تزدهر الدعارة في مصر، لكن محمد علي ألغى الضرايب على الدعارة سنة ١٨٣٧، مع استمرار النشاط والرقابة عليها، واستمر ده مع ولاد محمد علي، لـ حد ما جه الخديوي إسماعيل، فـ أعاد تنظيم المسألة، واتعملت في عهده لايحة لـ الدعارة في مصر.

اللايحة دي اتجددت كذا مرة، وآخر مرة كانت سنة ١٩٠٥، وبـ تتكون من ٢١ مادة فيها حاجات عجيبة، زي إن بيت الدعارة لازم يكون له باب واحد بس، وما يكونش متصل بـ أي دكان، مع اقتصار دور الدعارة على أحياء بـ عينها، كان أبرزها حي كلوت بك.

أغرب مادة من مواد لايحة الدعارة كانت المادة ٢١:

«لا يجوز لأصحاب بيوت العاهرات ترك أحد يلعب بألعاب القمار على مختلف أنواعها مثل لعب الباكارا واللانسكنيه والواحد وثلاثين»

يعني دعارة آه، قمار لأ. دكتور رياض حسن محرم عامل دراسة عن

الموضوع ده هي اللي اعتمدنا عليها في الحكاية دي، وشايف إن منع القمار كان لـ إنه فيه بيوت تانية مخصوص لـ القمار، آه، النظام حلو.

كانت المومسات لازم يروحوا كل أسبوع مستشفى الحوض المرصود، يجددوا الرخصة، بعد الكشف الطبي عليهم والتأكد من إنهم مش حاملين أي أمراض معدية، والأوراق الرسمية المحتفظ بيها في الموضوع ده فيها حاجات لطيفة زي أسماء المومسات: زي حسنة الطرابية، زينب الفطاطرية، بهية الزايطة، أو إن السجلات كمان كانت بـ ترصد تحركات المومسات، فـ تلاقي جنب الاسم ملحوظة: مسافرة إسكندرية، أو تابت وسلمت الرخصة، وهكذا.

في ثورة ١٩١٩ بنات الليل قرروا يتضامنوا مع الثورة، فـ أعلنوا إنهم مش هـ يستقبلوا زباين أجانب، وده كان مواكب لـ صعود شعار «مصر لـ المصريين»، لـ درجة إن الإنجليز اضطروا يستقدموا داعرات أجانب لـ الترفيه عن جنودهم.

فضلت الدعارة في مصر قانونية، لـ حد ما جه نائب برلماني اسمه «سيد جلال»، وبـ المناسبة كان وفدي، قدم طلب إحاطة لـ وزير الشئون الاجتماعية، ودي كانت بداية إنهاء الدعارة القانونية في مصر، اللي انتهت بـ كافة أشكالها سنة ١٩٥١.

بس خلاص..

مذبحة القلعة

يا ساتر يا رب!

العملية دي من أخطر وأقوى وأشرس وأفظع وأرهب العمليات اللي تمت في تاريخ البشرية، واللي من كتر ما رددنا عنوانها، من وإحنا في ابتدائي، ما بقيناش قادرين نحس حجمها والهول اللي تسببت فيه، «مذبحة القلعة» يا ساتر استر يا رب.

المماليك كانوا بـ يحكموا مصر من بعد الدولة الأيوبية، زمان أوي، بدأوا من شجرة الدر وعز الدين أيبك، وفضلوا يحكموا مصر قرون، وحتى لما جم العثمانيين ١٥١٧ ميلاديًا، فضل المماليك ليهم وضعهم في مصر، ومحدش يقدر يحل ولا يربط من غير ما ينال رضاهم.

لـ حد ما جه محمد علي باشا ١٨٠٥.

لما جه محمد علي يحكم، مكنش لـ وحده، كانت البلد متوزعة على مناطق نفوذ، وهو مسك البلد على علم بـ الوضع، وكان عارف إن كل حاجة وليها حاجة، وهو هـ يستفرد بـ الحكم يومًا ما بس واحدة واحدة، وفضل

يتخلص من أي حد ينازعه النفوذ، حتى اللي ساعدوه زي عمر مكرم، وكان آخر حد قصاده هم المماليك.

إيه الحل مع المماليك دول؟ خصوصًا إن مهام محمد علي الخارجية هـ تبدأ، ومعظم العسكر هـ يبقوا بره، يعني وهو وسط جيشه كان بـ يعمل لهم حساب، من غير الجيش هـ يعمل معاهم إيه؟

تمام..

أربع أنفار بس كانوا عارفين اللي هـ يحصل: محمد علي ولاظوغلي (بتاع الميدان) واتنين كمان هـ ينفذوا، والجنود اتقال لهم كل واحد هـ يعمل إيه، من غير ما يشرحوا لهم الخريطة الكبيرة، ولا إيه اللي هـ يحصل.

دعوا كل المماليك، وكان عددهم حوالي ٥٠٠، لـ حفلة في القلعة، لـ توديع جيش طوسون باشا اللي خارج لـ قتال الوهابيين، والحفلة بدأت فعلًا أكل وغنا وأفراح وليالي ملاح وأجواء كلها ود وحب، والمفروض بعد كل ده ما يخلص، يتجه الجيش الأول إلى «باب العزب»، اللي كان الطريق له كله صخور، ومش بـ يودي لـ أي حتة يمين أو شمال.

في آخر الجيش يمشي المودعين اللي منهم إبراهيم باشا، ابن محمد علي، ومعاه المماليك، اللي كانوا لابسين اللي ع الحبل، وجايين في أبهى زينة، ومش مديين خوانة، ويدوب الجيش عدى البوابة راح الجنود قافلينها، واستفردوا بـ المماليك، وفتحوا عليهم النار من كل حتة.

٥٠٠ واحد من قادة المماليك اتحصدوا في ساعة زمن، واللي مكنش بـ ينضرب بـ النار كان بـ يندبح عادي.

طبعًا الخبر وصل لـ ربوع مصر المحروسة، فـ عم الفزع أرجاء البلاد، وبواقي المماليك وتوابعهم وأهاليهم كانوا عارفين إنهم أول ناس هـ يطولهم

الطوفان اللي جي، والطوفان طلع من القلعة بعد ما خلصوا ع المماليك، قفلوا الدكاكين والمحلات والأسواق.

طلعوا على بيوت المماليك نهبوا بيوتهم، خدوا حريمهم، قتلوا اللي يلاقوه، ويا ويلك يا سواد ليلك لو بيتك جنب بيت مملوك، لـ إن ساعتها اثبت إنك مالكش علاقة، أو اثبت إن ده بيتك مش بيته، ووصل عدد الضحايا لـ ٥٠٠ تانيين، واللي قدر يهرب، لو فيه حد قدر يهرب، خرج بره القاهرة وداب وسط الفلاحين.

استمر السلب والنهب تلات أيام في أرجاء المحروسة، لـ حد ما محمد علي باشا نزل الشوارع بـ نفسه، واطمن على إنه حاكم مصر الأوحد.

واحد بس من المماليك اللي حضروا المذبحة قدر ينفد بـ عمره، اسمه أمين بك، فيه روايات مختلفة هو ازاي نجا، اللي يقول لك أصله كان في آخر الصفوف، فـ قدر يشوف المذبحة ويتصرف، أو إنه وصل متأخر فـ لقى المماليك عمالين يتدبحوا، لكن المتفق عليه إنه نط بـ الحصان من فوق سور القلعة، والحصان مات، وهو هرب في الجبل، قابله عربان ضربوه وسرقوه، مع ذلك ما ماتش، وقدر يهرب على لبنان، ويدخل التاريخ.

الحنفية

قال ما ينقضش

«أبو حنيفة قال ما ينقضش»

فاكرين الجملة دي؟

لو مش فاكرينها خلينا نراجع، دي من فيلم «مراتي مدير عام»، إخراج العظيم فطين عبد الوهاب، قالها شفيق نور الدين (الموظف) لـ حسين إسماعيل (الفراش)، لـ إن الموظف كان ماشي على مذهب الإمام ابن حنبل، يعني متشدد، علشان كده المصريين بـ يقولوا لـ الشخص المتزمت عمومًا إنه حنبلي.

حسب فهم الموظف لـ مذهب ابن حنبل، فـ إن ملامسة النساء تستلزم الوضوء بعدها، فـ كان موصي الفراش إنه لو اضطر يسلم على أي ست ييجي له الفراش بـ القبقاب علشان يروح يجدد وضوؤه.

في آخر الفيلم، بـ نلاقي الراجل ده بقى أكثر اعتدالًا، فـ بـ يسلم على المديرة، والفراش ييجي له بـ القبقاب، لكنه مش بـ يتوضى لـ إنه حسب فهمه لـ مذهب أبو حنيفة، السلام على الستات لا ينقض الوضوء.

الواقع إن مذهب أبو حنيفة أخف من المذاهب التانية بـ شكل عام، يعني مثلًا هو أباح أنواع كتيرة جدًا من الخمر، على عكس مالك مثلًا اللي كان متشدد جدًا فيما يخص الكحوليات، علشان كده بـ نضرب بيه المثل، ولو حد قال حاجة وحشة عن حد تاني أو حاجة، نقول:

«**قال فيه ما قال مالك في الخمر**».

كمان بـ سبب كده إحنا بـ نتجوز على مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان، وبـ نردد كده ورا المأذون، لـ إن أبو حنيفة كان له شروط ميسرة منها إن الست ممكن تجوز نفسها بـ لا ولي، وإحنا لو اتجوزنا مثلًا على مذهب الشافعي، محدش هـ يتجوز.

أيوه، إيه علاقة ده بـ الحنفية؟

أقول لك يا سيدي.

بقى محمد علي باشا الكبير، لما بنى الجامع بتاعه، مسجد محمد علي اللي فـ القلعة، والكلام ده من ٢٠٠ سنة وشوية، فكر في إنه يعمل حاجة شافها في أوروبا، وعايز ينقلها مصر، زي ما حاجات كتير نقلها عن الغرب، الحاجة دي كانت وقتها تكنولوجيا حديثة متطورة، وأحدث ما توصل إليه العلم في نقل المياه، وهي إن المية تتنقل إلى الجامع مش عن طريق السقا كما هو معتاد، وإنما عن طريق أنابيب، تنقل المية من منبع ما، ولما توصل الجامع، بـ تتفتح المية، وتتقفل فـ تحوّش المية (اللي هي بـ نسميها دلوقتي الحنفية).

طبعا لو الفكرة دي اتعممت فـ السقايين هـ يبقوا قدام كارثة حقيقية، هم كده مش ه يبقى لهم لازمة والمهنة هـ تنقرض، فـ إيه اللي يقدروا يواجهوا بيه التطور الجديد ده؟

الدين طبعًا.

راح السقايين لـ الجامع الأزهر، وطلبوا إنهم يحصلوا على فتوى بـ إن الاختراع الجديد ده حرام، وما ينفعش الناس تتوضى منه، واللي يتوضى منه وضوؤه يبقى باطل.

علماء المذهب الشافعي، والمذهب المالكي، والمذهب الحنبلي؛ وقفوا في صف السقايين وأصدروا فتوى بـ حرمانية الاختراع الجديد، وكانوا مستندين في فتواهم دي إلى حاجتين:

الأولى، إن الماء لازم يكون جاري، خصوصًا ماء الوضوء، والاختراع الجديد بـ يحوّش المية، وبـ التالي بـ يبقى في حكم الماء الآسن.

التانية، إن السلف الصالح ما استخدموش هذا الاختراع، وبـ التالي فهو بدعة، وزي ما إحنا عارفين كل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

المذهب الوحيد اللي كان في صف التطوير، هو مذهب الحنفية، ومذهب الحنفية عمومًا قايم على فكرة الاستحسان مش النقل عن السلف الصالح، وقالوا إنهم أصدروا الفتوى دي تيسيرًا على الناس، وتجنيبهم المشقة.

علشان كده المصريين سموا الاختراع الجديد «الحنفية»، بس يا سيدي، ومن ساعتها!

يا حلاوتك يا استفندي

يا ابن عم البرتقان

الخليج ما بـ يحبش محمد علي باشا، يطيقوا العمى ولا يطيقوهوش، علشان كده مشروع مسلسل الباشا ما كملش، وشكله مش هـ يكمل، لـ إن قنوات الخليج لا هـ تمول ولا هـ تشتري، عارف ليه؟

لـ إن محمد علي علّم عليهم كتير، وحروبه معاهم كانت ممتدة ومتنوعة، ومن أوائل الحملات اللي بعتها الباشا لـ الحجاز كانت حملة بـ قيادة ابنه طوسون باشا، اللي كان يدوب عنده ١٨ سنة وقتها. (راجع مذبحة القلعة)

سنة ١٨١٣ حط طوسون إيده على مكة والمدينة، وبعت مفاتيحهم لـ السلطان العثماني في اسطنبول، بعديها لقى مقاومة من الوهابيين، فـ راح الباشا بـ نفسه ساعده في السيطرة على الأمر ورجع بعد ما حج.

المعارك اللي خاضها طوسون باشا كتيرة، وفي مدة قصيرة، يعني بعد ما قدر ياخد مكة والمدينة، قدروا ياخدوا منه مكة تاني، واستمرت المعارك بينهم سنين، لـ حد سنة ١٨١٦، وكانت مشكلة طوسون باشا الأكبر هي الحر في الصحرا دي.

في واحدة من المعارك دي، وهي معركة تربة البقوم شرق الطائف، أصيب طوسون باشا ونقلوه جدة لـ العلاج، وبعدين لما تفاقم الأمر رحلوه على مصر.

لما وصل مصر، سبتمبر ١٨١٦، كان شكل محمد علي باشا، وشكل الإمبراطورية العثمانية كله مش تمام، صحيح هم خسروا جولة، والحرب لسه طويلة، لكن المعنويات مهمة، فـ محمد علي باشا عمل حاجة كانت معتادة زمان، وهي استقبال القواد العائدين استقبال الفاتحين حتى لو مكنوش متقدمين.

اللي زوّد الإحراج إن طوسون باشا اتوفى أول ما وصل وهو عنده ٢٢ سنة، بس الباشا أكيد مش هـ يغلب، قال إن ابنه اتوفى بـ الطاعون، لـ إنه عارف إن معاركه مع الوهابيين مستمرة، وعارف إنه هـ ينتصر في النهاية.

أيوه، إيه علاقة ده بـ اليوسفندي اللي هو ابن عم البرتقان؟

أقول لك..

كان فيه واحد اسمه يوسف أفندي، بعته محمد علي لـ أوروبا في بعثة لـ تعلم الزراعة، الحقيقة إن ميزة محمد علي الكبيرة هي إدراكه إن البلد دي مش هـ تتقدم إلا بـ إنها تتواصل مع أوروبا تواصل متين، من غير خوف، سيبك من فكرة الاستقلال والتنمية الذاتية والكلام ده، أوروبا عندها العلم، فـ إحنا هـ نتعلمه منهم، ولـ ذلك أرسل البعثات في كل المجالات.

يرجع مرجوعنا لـ موضوعنا، يوسف أفندي لما رجع مصر، كان بعد وفاة طوسون بـ شوية، ويبدو إنه كان شخص لبق كفاية، وذكي، لـ إنه كان عنده مشروع لـ زراعة فاكهة جديدة في مصر، شبيهة بـ البرتقان (بـ المناسبة البرتقان جاية من البرتقال، اللي هي البرتجال، اللي هي البرتغال موطنه اللي جبناه منه).

يوسف أفندي قدّم شوية من الفاكهة دي لـ محمد علي باشا، على أساس يتأكد من جودتها، وكان يوسف أفندي جايبها ضمن أشجار فاكهة جديدة، اشتراها من سفينة كانت راسية في مالطة ومحملة بـ أشجار جاية من الصين واليابان.

الفاكهة عجبت محمد علي باشا، فـ سأل يوسف أفندي عن اسمها، فـ الأفندي اقترح عليه إنه يطلق عليها اسم جديد، لـ شخص محبوب، فـ يعني ممكن نسميها «طوسون» على اسم المرحوم.

اللفة عجبت محمد علي باشا، اللي فهم المقصود من الاقتراح، أصل الباشا مش هـ يطلق اسم ابنه الراحل على فاكهة شعبية، فـ فهم إنه يوسف أفندي عايز اسمه هو اللي يتحط ع الفاكهة، فـ ابتسم الباشا، وقال له:

خلاص، نسميها يوسف أفندي.

وقد كان.

بس إنت عارف الشعوب، فضلنا نخففها ونحورها لـ حد ما بقت يوستفندي.

بعد كده، خصص محمد علي ١٠٠ فدان جنب قصر شبرا لـ زراعة الأشجار الجديدة، وبعت ٣٠ شخص من ولاد كبار مشايخ البلاد والأغنيا المقتدرين لـ تعليمهم زراعة الأصناف على يد يوسف أفندي.

مش بس كده، ده محمد علي كلف يوسف أفندي بـ ملاحظة التجارب الزراعية في نبروه، فـ عمل لها نظام دقيق، لكن ما اتسماش لـ اسمه.

السقا والباشا

دوبلير لاظوغلي

قصيدة نجيب سرور الأشهر هي «الأميات»، وده تأدبًا يعني، فيها مقاطع مؤثرة، خصوصًا الجزء اللي بـ يكلم فيها ابنه شهدي، من الجزء ده فيه بيت بـ يقول فيه لـ ابنه:

بلدنا فيها الكرم حتى لـ لاظوغلي

لاظوغلي مين؟ والله ما أعرف، نظرة يا عرابي

نجيب في البيت متضايق من إن شوارع وميادين مصر فيها تماثيل لـ ناس ما ساهمتش في التاريخ الوطني لـ مصر، مع إن مفيهاش تماثيل لـ أحمد عرابي مثلًا، وبـ يستشهد بـ تمثال لاظوغلي اللي موجود في ميدان لاظوغلي، وبـ يسأل بـ استنكار: لا ظوغلي مين؟

جيلي بقى بـ يكره كلمة لاظوغلي، لـ إن معناها بينا هو أمن الدولة، لـ إن مقر الجهاز المنحل الرئيسي كان في لاظوغلي، وده المكان اللي كانوا بـ يودونا فيه لما يقبضوا علينا فيه بـ سبب شغل السياسة، وكنا بـ نتعرض لـ التعذيب هناك، فـ الكلمة سيئة السمعة جدًا.

بـ غض النظر توافق نجيب سرور استنكاره أو لا، وسواء كنت عديت على سلخانة لاظوغلي أو لا، تعالى مع بعض نقول مين لاظوغلي ده، وأقول لك بـ المرة حكاية تمثاله.

هو محمد لاظ أوغلي، وأوغلي بـ التركي يعني ابن، فـ هو محمد بن لاظ، من الناس اللي جم مصر مع محمد علي، وتولى مناصب مهمة كتير، يعني هو كان أول وزير دفاع، لما كان الوزير اسمه ناظر، والوزارة اسمها الجهادية، فـ هو كان ناظر الجهادية، وتولى رئاسة الحكومة كلها سنة ١٨٠٨، وفضل رئيسها ١٥ سنة.

محمد علي كان مقرب منه لاظوغلي، لـ إنه أدى له خدمات جليلة، أهمها على الإطلاق إنه كان مهندس مذبحة المماليك الشهيرة ١٨١١، اللي مكنت الباشا من فرض سيطرته على البلاد بـ صورة نهائية. زي ما شفنا، بس كان فيه حاجة بسيطة إن لاظوغلي مكنش يحب إنهم يرسموا له صورة أو شيء من هذا القبيل.

المشكلة دي هـ يبان أثرها سنة ١٨٧٢، لما الخديوي إسماعيل يقرر عمل تماثيل لـ كبار رجال الدولة، ومنهم لاظوغلي باشا، اللي كان مات طبعًا، فـ حاولوا يلاقوا له أي رسمة أي حاجة، ما أمكنش، بس كمان ما ينفعش يتجاهلوا أمر الوالي بـ صنع التمثال، يعملوا إيه؟

كان فيه اتنين باشوات على قيد الحياة من الناس اللي عاصرت لاظوغلي، واحد اسمه الدرمللي باشا، وواحد اسمه ثابت باشا، فـ لجؤوا لهم علشان يلاقوا حل. فـ عملوا اجتماعات ونقاشات، طب نوصفه، طب ييجي رسام يرسم بناء على الوصف، طب هو كان شكله عامل ازاي، وطوّل الموضوع شويتين.

فـ مرة قاعدين يتناقشوا، فـ جه سقا شايل القربة على ضهره، وجايب المَية، كما هو المعتاد، والسقا كانت وظيفة ميري محترمة، ليها اختبارات وكشف هيئة والناس بـ تاخدها بـ وسايط وبـ تدفع رشاوي، مش أي كلام يعني.

المهم، ثابت باشا بص على السقا، وقال: سبحان الله، يخلق من الشبه أربعين، أهو السقا ده الخالق الناطق لاظوغلي باشا. الدرمللي اعترض، ثابت أصر، وبعد مباحثات ومداولات قرروا إن السقا فعلًا شبه لاظوغلي، بس ده يفرق فـ إيه؟

لا، يفرق.

جابوا الراجل، وقرروا يشغلوه دوبلير لـ الباشا، فـ أخضعوه لـ ما يشبه شغل الماكيير حبة، ظبطوا حتة هنا، حتة هناك، وراحوا لبسوه لبس لاظوغلي، ونيشانه وسلاطاته وبابا غنوجه، وجابوا مثّال فرنساوي اسمه جاك مار، عمل له التمثال اللي سكان القاهرة بـ يشوفوه في الميدان المذكور من مية حاجة وأربعين سنة، ولسه..

العباسية

سبيل أم عباس

العباسية دلوقتي بقت في وسط البلد، تخيل بقى إن العباسية دي كانت لـ حد وقت قريب صحراء جرداء لا زرع فيها ولا ماء، بـ العافية فيها شوية هواء، لـ حد ما عمرت أيام عباس، اللي بناها وسماها على اسمه.

عباس مين؟

عباس يا راجل، عباس ابن أم عباس، اللي هي بتاعة سبيل أم عباس.

بس سبيل أم عباس ده مكان تاني خالص، نفك بقى الحكاية.

محمد علي باشا الكبير، لما حكم مصر، كان الحكم لـ ولاده من بعده، وكان نظام الوراثة إنه يتولى الحكم أكبر الأسرة العلوية سنًا. فـ بعد محمد علي حكم ابنه إبراهيم باشا، وبعد إبراهيم جه الدور على عباس حلمي الأول.

عباس ده كان ابن أحمد طوسون بن محمد علي الكبير، وواحد من قواد جيشه، وطوسون كان متجوز ست اسمها بنبة قادن، اللي كتير من المصريين

اتسموا على اسمها، وأكيد إنت سمعت فـ يوم تعبير «خالتي بنبة»، فـ بنبة دي هي أم عباس.

بنبة وطوسون قعدوا فترة طويلة ما بـ يخلفوش، فـ هي ندرت ندر إنها لو خلفت هـ تعمل سبيل لـ الغلابة، فـ لما ربنا رزقهم بـ عباس، عملت السبيل المذكور، اللي كان أكبر من مجرد مكان يشرب منه عابرو السبيل، كان ملتقى لـ الغلابة، لـ درجة إنه كانت منه بـ تطلع كسوة الكعبة، وبـ يتقابل فيه الحجاج المتجهين لـ الأراضي المقدسة.

السبيل اتسمى بـ اسمها، لكن زي ما إنت عارف المصريين ما يحبوش يقولوا أسماء الستات صراحة، فـ ما اتسماش سبيل بنبة، اتسمى سبيل أم عباس.

كبر عباس، وبقى هو الوريث «الشرعي» لـ حكم مصر، فـ تولى العرش فعلًا، بس عهده كان عهد إسود، تراجعت مصر فيه ١٠٠ خطوة عن عصر محمد علي، كفاية بس تعرف إنه كان مؤيد لـ محمد بن عبد الوهاب ودعوته، بعد ما كانت أسرة محمد علي عدو تاريخ ليهم.

عباس مكنش مشغول بـ حاجة غير بـ الكرسي والحفاظ عليه، علشان كده كان قلقان من أسرة محمد علي، ومش بـ يشوف فيهم غير منافسين على الحكم، فـ كان بـ يفضل ورا الأمير أو الأميرة لـ حد ما تضطر تسافر تركيا ولا أوروبا بـ صفة عامة.

ولـ إنه كان عديم الثقة بـ أهله نفسهم، مكنش عنده ثقة في أي حد، فـ عصره كان عصر بوليسي، والناس بـ تفتن على بعضها، وهو كمان كان سريع الغضب، فـ كان أي حد بـ يوصل له عنه حاجة، كان ينفيه ويصادر أمواله.

غير كده كان بـ يخطط إنه يستصدر أمر من الباب العالي لـ تغيير نظام الوراثة، بـ حيث يبقى الحكم في ولاده هو، فـ استعدى وريثه «الشرعي»، عمه سعيد، فـ راح سعيد يعيش فـ إسكندرية علشان يبعد عنه.

في هذا الجو البوليسي كان طبيعي إنه ما يحبش يقعد كتير في مقر حكمه، فـ كان بـ يبني القصور «خارج القاهرة»، فـ بنى كذا قصر رهيب، ولما نقول خارج القاهرة وقتها، غير خارج القاهرة دلوقتي.

من الأماكن اللي اختارها صحرا قريبة من القاهرة بنى فيها قصر فيه ٢٠٠٠ شباك، تخيل القصر ده يبقى عامل ازاي، فـ اتسمت المنطقة دي العباسية، وبعده تطورت لـ حد ما وصلت لـ الشكل اللي حضرتك شايفه ده.

من القصور اللي بناها عباس كمان قصر في بنها، بس مكنش يعرف إنه بناه علشان يتقتل فيه، منطقي جدا إنه يتقتل بعد كل ده، ويتولى بعده عمه وغريمه اللدود سعيد باشا.

وسبحان من له الدوام.

كفر الأذيات

عقدة إسماعيل

كل ما أروح إسكندرية، ونيجي عند كفر الزيات، أفتكر السبب اللي اتسمت بـ سببها كفر الأذيات، وازاي إن أهل البلد الجميلة اتظلموا جامد، لـ إنهم يا عيني مالهمش أي علاقة بـ الحادثة اللي جرت فيها، حادثة جرّت عليهم هم الأذيات، وهم لا ناقة لهم ولا جمل، ولا حول ولا قوة، بس الله غالب.

الحكاية تخص الخديوي إسماعيل، حاكم مصر الشهير اللي كان من أكتر أولاد محمد علي إثارة لـ الجدل، ودايمًا بـ تحصل نقاشات حوالين عصره، هل كان عصر نهضة بنى خلاله مصر الحديثة، ولا هو اللي جلب الاحتلال والتدخل الأجنبي.

الموضوع يجاوب عليه المؤرخين، إنما إحنا هنا، هـ نحكي حكاية توليه العرش، لـ إنها ما تقلش إثارة عن عصره كله.

بقى يا سيدي، بعد عصر محمد علي باشا كان حكم مصر لـ أولاده من بعده بـ موجب فرمان عثماني، وكان فيه ترتيبات معينة لـ مين يتولى بعد مين، ولما تولى محمد سعيد باشا الحكم، كان المفروض اللي ييجي بعده الأمير أحمد رفعت باشا، اللي كان أكبر ولاد إبراهيم باشا بن محمد علي. يعني رفعت كان ولي العهد، واللي بعد رفعت ييجي أخوه إسماعيل باشا بن إبراهيم.

اللي حصل إنه سنة ١٨٥٨، الخديوي سعيد الحاكم، عمل حفلة في إسكندرية دعا إليها كل أمراء العيلة الحاكمة، بس تخلف عنها إسماعيل لـ ظروف مرضه، أو هكذا قيل، وراح طبعًا أحمد رفعت، وحضر الحفلة وكل وشرب، وتمام التمام.

جينا بقى وهو راجع القاهرة، كان راجع مع الأمير حليم، وكانوا بـ يرجعوا بـ القطر، فـ وصلوا عند كفر الزيات، ومكنش لسه الكوبري اللي بـ نعدي عليه اتعمل، كان القطر بـ ييجي عند المية والسكة تتقطع، فـ يعدوا النهر بـ عربية خاصة، تمر على معدية، وبعدين يركبوا قطر تاني يواصل المسيرة.

لما وصلوا عند المعدية دي، العمال اللي بـ يزقوها، زقوها جامد، فـ وقعت في المية، الأمير حليم قدر ينفد، إنما الأمير رفعت ما قدرش لـ إنه كان تخين، فـ غرق، وبـ كده الخديوي إسماعيل بقى هو ولي العهد.

الكلام بقى إيه، إن الحكاية دي مش قضاء وقدر، وإن إسماعيل وسعيد اتفقوا على مؤامرة لـ التخلص من رفعت، علشان إسماعيل يتولى، أو على الأقل واحد منهم عمل كده. وطبعًا فيه ناس كتير بـ تنفي الموضوع ده، وشايفة إن إسماعيل بريء من دم أخوه.

اللي بـ يأيدوا المؤامرة، بـ يستشهدوا بـ وضعية إسماعيل في عهد سعيد، حتى قبل وفاة رفعت، لـ إنه كان بـ يعامله كـ إنه ولي العهد بـ الفعل، داخليًا وخارجيًا.

يعني مثلًا سعيد أوكل لـ إسماعيل، في حياة رفعت، رئاسة مجلس الأحكام، اللي كان أكبر هيئة قضائية في البلاد وقتها، ومن ناحية تانية، بعته سنة ١٨٥٥ علشان يقابل نابليون التالت إمبراطور فرنسا، في مهمة دقيقة، إنه يبحث وضعية مصر بعد اشتراكها في حرب القرم، وبـ التالي رغبتها في توسيع استقلالها، والمصادر بـ تقول إن إسماعيل أدى المهمة على أكمل وجه، وبـ كده بقى ضالع في إدارة شئون البلاد، ومطّلع على أسرار كتيرة.

كذلك، سعيد بعت إسماعيل لـ مقابلة بابا الفاتيكان، ولكن يفضل الأهم إنه بعته في حملة إلى السودان علشان يهدّي الأوضاع في الجنوب، وفعلًا قدر إسماعيل إنه يرجع صاغ سليم، وإن الأوضاع هناك تستقر.

إذا أضفنا لـ كده إن بنت رفعت فضلت طول الوقت تعامل عمها إسماعيل بـ اعتباره السبب في موت أبوها، نعرف إنه مفيش دخان من غير نار.

المهم، بعد الحكاية دي، سموا كفر الزيات كفر الأذيات، مع إن الأذيات وقعت على أهاليها مش صدرت منهم، بس هي الدنيا كده مفيهاش عدل.

ولا فيها؟

الله أعلى وأعلم.

مدفع رمضان

الحاجة فاطمة

مدفع رمضان كان اسمه الحاجة فاطمة.

والحاجة فاطمة، أعزك الله، هي بنت الخديوي إسماعيل، اللي شفنا حكاية توليه العرش، وفاطمة كانت بـ تحب المصريين والمصريين بـ يحبوها، دي اللي اتبرعت بـ دهبها علشان إنشاء جامعة القاهرة، ومجلة الهلال كانت ناشرالها صورة شهيرة وهي لابسة كل المجوهرات دي، وعملت أوقاف كتيرة علشان الجامعة، واسمها مازال محفور، كنت بـ أشوفه في مدخل كلية آداب القاهرة أيام ما كنت طالب فيها.

الحاجة فاطمة دي عملت حاجات كتير التاريخ فاكرهالها، منها مدفع رمضان.

الحكاية بدأت من مدفع كان فوق سطح القلعة، والمدفع ده له تاريخ، يعني اشترك في تلات حروب هي تركيا ضد روسيا في شبه جزيرة القرم، وحرب المقاومة الفرنسية لـ ثورة المكسيك، ومحاولات غزو بلاد الحبشة.

المدفع ده انضرب بـ الغلط في أول يوم من أيام رمضان، قال لك كانوا بـ ينضفوه، فـ طلعت منه قذيفة، وتصادف إن اللحظة كانت لحظة أدان المغرب، فـ المصريين اعتقدوا إن دي طريقة جديدة ينبهوا بيها الناس لـ الأدان فـ يفطروا، قوم لما الحاجة فاطمة شافت فرحة المصريين، أصدرت فرمان إن ده يبقى كل يوم.

هو أنا ما أعرفش مين اللي كان بـ ينضف المدفع وقت الإفطار، ولا هو واحد مش صايم، ولا إيه اللي حصل بـ الظبط. المهم، الفرمان كان إن المدفع يضرب وقت الإفطار، ووقت السحور كمان، وبـ مرور الوقت توسعت الفكرة، وبقى في القاهرة خمس مدافع لـ الإفطار، مدفع الحاجة فاطمة، اللي فوق القلعة، وواحد تاني في القلعة برضه، وواحد في العباسية وواحد في حلوان، وواحد في مكان مصر الجديدة حاليًا.

من مصر بدأت الفكرة تنتشر، أولًا في بلاد الشام: القدس ودمشق وغيرهم، وبعدين بغداد في أواخر القرن التاسع عشر، وبعدها اتنقل لـ مدينة الكويت، وكان أول مدفع لـ الكويت في عهد الشيخ مبارك الصباح، سنة ١٩٠٧.

بعد كده انتشر في كل بلاد الخليج، قبل ما تبقى بلاد في عهد ما قبل البترول، بعديها اليمن والسودان، وحتى دول غرب أفريقيا زي تشاد والنيجر ومالي، ودول شرق آسيا، مدفع الإفطار اشتغل مثلًا في إندونسيا سنة ١٩٤٤.

في الوقت اللي كان مدفع رمضان بـ ينتشر في أنحاء العالم، توقف العمل بيه في مصر لـ فترة طويلة، لـ حد ما جه وزير الداخلية الشهير أحمد رشدي، اللي قرر عودة مدفع رمضان لـ العمل، ورجعه مكانه فوق سطح القلعة.

وقتها، هيئة الآثار اعترضت، وقالت إن المدفع خطر على جدران القلعة وجامع محمد علي والمتاحف الموجودة هناك، فـ نقلوه لـ حتة فاضية فوق جبل المقطم، ودلوقتي فيه تلات مدافع رمضان في القاهرة، منهم واحد قدام متحف الشرطة.

بس تصدق فيه سؤال شغلني كتير:

هي القذيفة اللي بـ تنطلق دي بـ تروح فين؟ مش يمكن تعوّر حد ولا تموته ولا تهدم بيت؟ ازاي بـ يتفادوا آثار الضربة من غير ما تعمل تدمير؟

مرة سألت الراجل الصول المسئول عن ضرب المدفع السؤال ده من كام سنة، كنت قابلته في لقاء مع الست إسعاد يونس، فـ قال لي إن المدفع مش بـ يضرب قذيفة ولا حاجة، ده صوت بس، زي مسدس الصوت كده، بـ يعمل فرقعة بس ما بـ يضربش.

هم بـ يحطوا كتل بارود في المدفع اللي ارتفاعه عن سطح البحر ١٧٠ متر، وبعدين يشدوا الحبل على البارود، فـ يعمل صوت بـ ينتشر في محيط عشرة كيلو متر، وفيه ناس بـ تيجي تشوف لحظة إطلاق المدفع، ويقعدوا يهللوا لحظة الإطلاق.

طب والنعمة إحنا شعب رايق.

«الذوق» ما خرجش من مصر ولا خرج؟

العواجيز أمثالي يعرفوا المثل ده، كنا نستخدمه لما نحب نقول «عمار يا مصر»، أيام ما كان الشعور الوطني فرض عين على كل مصري، قبل ما تهل التسعينات، وتبدأ موجة كده تعتبر إن المشاعر الوطنية نوع من المراهقة، الموجة دي بدأت مع جرنان الدستور في إصداره الأول سنة ١٩٩٥، وبـ تتطور يوم ورا يوم، لـ حد ما بقى الشباب دلوقتي يتكسفوا يقولوا إنهم بـ يحبوا مصر.

ما علينا..

إحنا كنا بـ نقول المثل ده:

«الذوق ما خرجش من مصر»

وكنا فاكرين إن معناه إن مصر فاضل فيها الذوق، ولسه ما هربش، والذوق معناه الأدب والإتيكيت والاحترام وكده يعني، بس لما كبرت

عرفت إن «الذوق» المقصود هو مواطن مصري اسمه حسن الذوق، وده له حكاية.

قبل ما أقول لك الحكاية، أحب أنوه إني مش مهتم بـ إيه اللي حصل فعلًا من الناحية التاريخية، لـ إن فيه نقاشات وسجالات وحاجات ومحتاجات، مش ده هدفنا هنا، إحنا هـ نشوف الحكاية الشعبية اللي انتشرت، لـ إنها الأهم.

عارف حضرتك شارع المعز لـ دين الله الفاطمي، في آخره كده من ناحية الحسينية، هـ تلاقي ضريح أخضر مكتوب عليه: ضريح العارف بالله سيدي الذوق، مين ده؟

بـ يقول لك، كان فيه واحد اسمه «حسن»، ومن كتر ذوقه، سموه حسن الذوق، المخيلة الشعبية رسمت الذوق بـ تلات صور مختلفة عن بعض تمامًا، الأولى فتوة، والتانية ولي من أولياء الله الصالحين، والتالتة شهبندر التجار، ولو جمعنا الصور دي في حاجة واحدة، هـ تطلع الصورة اللي بـ يفضلها المصريين من أزل الأزل، من أيام فرعون شخصيًا (أي فرعون)، وهي شخصية المستبد العادل الأب القادر الحازم الحنون.

اللافت في الحكايات إن المصريين اعتبروا مولانا الذوق مش مصري، وفيه رواية بـ تحدد إنه مغربي، والباقي مش بـ يقول، بس فكرة إنه مش مصري، أعتقد إنها ماشية أكتر مع طول الوقت اللي حكمنا ناس مش مصريين، أصلًا قبل عبد الناصر، إحنا ما نعرفش إمتى كانت آخر مرة حكمنا فيها واحد مصري، عرب، أتراك، شراكسة، مماليك، فاطميين، أيوبيين، عثمانيين، ألبان، فرنجة، إنجليز، كله شغال، وكله أهلًا وسهلًا بيتك ومطرحك، وهوب نبلعهم جوه التركيبة المصرية، ما يبانلهمش أثر.

المهم، مولانا الفتوة ده كان برنس الليالي ورمانة الميزان، وهو اللي بـ يفصل

في المنازعات، وهو صاحب السلطات التلاتة في الحتة: تشريعية، قضائية، تنفيذية، وهو عنده الكفاءة يقوم بـ الليلة، واخد لي بالك إن السلطات التلاتة فـ الآخر في إيد «الذوق»! حاجة تفكرك بـ إن أخد الحق حرفة وبـ الأصول.

المهم، في يوم من ذات الأيام، قامت خناقة، واتوسعت، والفتوات الصغار قاموا دب فـ بعض، والذوق حاول يتدخل، ما أمكنش، يهديكم يرضيكم، محدش سمع له، ودي كانت أول مرة هيبته تتكسر في الحتة.

مش بس كده، ده الأمر وصل لـ الوالي، اللي أمر بـ إن الفتوات كلها يتقبض عليها ويدخلوا السجون.

فكرة إنك تبقى كبير حتة، والأمر يخرج منك لـ الباب العالي فيها إهانة ما بعدها إهانة، فـ مولانا حس إنه ما عادش له مكان ولا مكانة في البلد دي، فـ قرر إنه يسيب المحروسة ويهاجر.

مشي صاحبنا لـ حد ما وصل عند باب الفتوح، واحد من بوبات القاهرة القديمة، واللي لما تخرج منها تبقى خرجت بره البلد، بس أول ما وصل عند البوابة، مات، عز عليه إنه يسيب البلد، وعز عليه إنه يعيش فيها مهان، فـ مات.

المصريين، اللي ما تداولوش عنه كرامات وهو عايش، اعتبروا موته كرامة، ودفنوه ورا باب الفتوح، وقالوا الجملة اللي بقت مثل:

الذوق ما خرجش من مصر.

حميدو

الفارس الأخير

فيلم ابن حميدو، هو النسخة الساخرة من فيلم لـ فريد شوقي اسمه «حميدو»، وحميدو فيلم خد اسم لـ شخصية حقيقية من الإسكندرية، عاش ومات في شوارعها وزنقاتها، بس حميدو الفيلم غير حميدو الواقع، حميدو الواقع كانت حكاياته أكثر أسطورية وأشد إثارة، وأجمد من كل الوجوه.

ونبدأ حكايتنا، اللي نشرتها الصحفية إلهام الجمال، من سباق بحري كان بـ يتم في الإسكندرية، كان بـ يعملوه بين قوارب حي السيالة، وقوارب حي راس التين، وكان الخديوي عباس حلمي التاني بـ يحرص على حضور السبق ده في إطار التسلية يعني، وزج أوقات الفراغ..

حميدو سنتها كان بـ يمثل منطقة السيالة، وكابتن الفريق، وكان شكله كده هيبة طول بـ عرض، وبـ يلبس هدوم غريبة مميزة، حتة تركي على حتة مغربي، وطبعًا كسب السبق، فـ الخديوي حدف له كام ريال فضة على سبيل المكافأة، فـ هو عمل آخر حاجة ممكن حد من الحاضرين يتخيلها، ما رضيش يوطي يجيب الريالات من الأرض وسابها ومشي.

الخديوي طبعًا مش هـ يعمل عقله بـ عقل واحد من عامة الشعب الرعاع، بس كمان اللي حصل ده فيه هزة لـ هيبته كـ حاكم مصر يعني، فـ كان قراره إن حميدو ييجي مصر المحروسة، ويلعب ماتش مصارعة حرة مع واحد من خدم أفندينا، بس مش أي واحد، ده الفتوة الخصوصي لـ جنابه.

راح حميدو، وشكله كان مبسوط بـ التحدي، وراح رازع الراجل روسية إسكندراني، اتكوم فيها غايب عن الوعي، قوم الخديوي اتبسط من حميدو، ومنحه رسميًا لقب فارس، وكافؤه، فـ رجع صاحبنا إسكندرية نافش ريشه أكتر ما هو منفوش.

اللطيف بقى إن قوة حميدو الفظيعة دي كانت سبب في قطع عيشه، أصلك واحد زي ده هـ يشتغل إيه؟ أكيد فتوة، فـ كان لما يمشي في الشارع، ويقول: أنا حميدو الفارس، كل قرد بـ يلزم شجرته، ومحدش يستجري يهوب ناحيته، وهو مكنش عايز يمشي شمال، بس واضح إنه على رأي عشري في إبراهيم الأبيض: واللي قلبه ميت يعمل إيه؟ يقعد في البيت يفصل بروفلات؟

يعني حميدو فتح قهوة في المينا الشرقي يكسب منها رزق حلال، فـ كانت الناس تخاف تروح تقعد، أصلك مين هـ يجازف بـ روحه، ويروح يقعد على قهوة زي دي، وجايز تحصل في الأمور أمور، فـ ياخد واحدة من حميدو تتلف له أمله.

حميدو اضطر يدور القهوة في الشغل البراني، وكان نشاطه الأساسي تجارة الحشيش، بس هو الشهادة لـ الله مش بـ يتاجر في الصنف، كان بس بـ ياخد عمولة على الصفقات اللي بـ تتم عنده، وفي حمايته.

الألطف من ده كله إن البوليس كان بـ يخاف من حميدو وسيرته زي

الناس ويمكن أكتر، كان اليوم اللي يروح فيه حميدو القسم لـ أي سبب يوم مش فايت على القسم وحكيمدار القسم والظباط اللي فيه، فـ كان عندهم اسطمبة لـ محضر اسمه محضر حميدو.

أصل التهمة الوحيدة اللي كانوا ممكن يوجهوها لـ واحد زي ده هي محضر سكر وعربدة، ودي ديتها بسيطة، هو كمان مكنش شقي، يعني رغم قوته الفظيعة عمره ما قتل ولا سرق، ولا حتى بلطج على حد من غير «وجه حق»، طبعًا مع مراعاة نسبية وجه الحق.

حميدو كان آخر زمن الفتوات الجميل، واللافت إنه فضل محافظ على قوته ولياقته رغم إنه عاش لـ حد ما عدى سن السبعين، بس فضل واقف على رجله لـ حد ما راح، وراحت معاه حاجات كتير، وربنا يرحم الجميع.

مانجة عرابي

صغار في الذهاب وفي الإياب

مسكين أحمد عرابي!

بص، مش هـ أتكلم عن «ثورة عرابي» اللي اتقال عليها «هوجة عرابي»، ولا على إن حظه الهباب خلاه يبدو أمام التاريخ مسئول عن الاحتلال الإنجليزي لـ مصر، اللي كان جي جي، وده يعني مش معناه إن عرابي كان عظيم والجو ده، هو ظابط عادي حطته الظروف في مواقف أكبر منه، لا هو اللي عملها، ولا كان قدها.

انتهت الأحداث بـ احتجاز عرابي في ثكنات العباسية، واتعملت له محاكمة عاجلة في ٣ ديسمبر ١٨٨٢، اتحكم عليه فيها بـ الإعدام، وكان حكم صوري معروف إنه هـ يتخفف، لـ إنه كان فيه اتفاق على كده بين سلطة الاحتلال الإنجليزي (اللي كان لسه بادئ) وبين القضاة المصريين.

تخفيف الحكم كان بـ حكم بديل هو النفي إلى سيريلانكا علشان يقضي بقية عمره هناك، ما بـ يعملش حاجة غير إنه يقول: «أنا إيه اللي جابني هنا؟»، أو زي ما بـ تقول النكتة: «مين اللي زقني في الَمية؟».

قمة المسخرة لما اتعرض عليه مرة إنه يعمل إعلان شاي هناك، طبعًا مش في التلفزيون، مكنش ظهر، إنما في جريدة من الجرايد، يحطوا صورته ويكتبوا تحتها: عرابي يشرب شاي كذا، وهو طبعًا رفض.

كل ما كانت تعدي عليه سنة، ويثبت الاحتلال الإنجليزي في مصر، يحس إنه ضيّع نفسه أونطة، وإن الهوجة مكنتش جاية همها، ووصل بيه الهوان إنه يبعت التماسات لـ سلطات الاحتلال إنهم يصفحوا عنه، ويسيبوه يرجع يموت في مصر.

جريدة المقطم ساعتها، وكانت مؤيدة لـ الإنجليز، نشرت التماس من الالتماسات دي، بدأه بـ إنه شكر في السلطة الإنجليزية في مصر، ومدح الإصلاحات اللي أجروها في المحروسة، وبعدين قال نصًا:

«إنني أبغي أن أموت في بلادي، بين أهلي وخلاني، وأشتهي أن أرى مصر والذين أحبهم قبل دنو أجلي، فإذا أذنت لي إنجلترا في الذهاب إلى مصر، فإنني أذهب كصديق لا عدو مقاوم، وأقسم بشرفي أنني لا أتصدى للسياسة بوجه من الوجوه، هذا ما أسأله من أمتكم العظيمة التي عاملتني بالرفق والشفقة»

كان طبيعي إن السلطات الإنجليزية ترأف بـ حالة الراجل العجوز، اللي اتحط في وش المدفع من غير ذنب، فـ خدوا قرار إنه يرجع، ورجع فعلًا سنة ١٩٠١.

المشكلة مش هنا، المشكلة إن فيه مجلة اسمها المجلة المصرية، لـ صاحبها ومنشئها خليل مطران شاعر القطرين، نشرت قصيدة في العدد الثاني بـ تاريخ ١٥ يونيو ١٩٠١، عنوانها عاد لها عرابي، من غير اسم الشاعر اللي كتبها. القصيدة كلها شتيمة في أحمد عرابي، ومن أولها كده:

«صغار في الذهاب وفي الإياب

أهذا كل شأنك يا عرابي؟»

القصيدة اشتهرت أوي ساعتها، وبدأت الناس تشمشم علشان تعرف شاعرها، لـ إنها كانت قصيدة حراقة أوي. فـ أعادت نشرها جريدة اللواء، في العدد ٥٣٢ بتاريخ ١١ يوليو ١٩٠١، ووقعتها بـ إمضاء «نديم»، وكتبت لها المقدمة دي:

«نشرت المجلة المصرية تحت هذا العنوان قصيدة غراء لشاعر من أكبر الشعراء، بل أكبرهم بلا نزاع، فأحببنا نقلها، إظهارًا لشعور أمير القريض والبيان في عودة عرابي إلى مصر».

أهي كده بانت لبتها، اللي كتب القصيدة الرداحة دي أحمد بيه شوقي بـ ذات نفسه، يشهر بـ عرابي، ويشتم فيه، ويطلع سنسفيل أهله.

بس ليه كده يا شوقي بيه، هو مش الضرب في الميت حرام؟

الراجل عمل إيه يعني؟ ما هو بقاله عشرين سنة بره، وخلاص قصته بقت ذكرى الناس بـ تفتكرها من بعيد لـ بعيد، فـ قال لك يا سيدي، كل ده بـ سبب الإشاعة.

أصلك طلع كلام وقتها إن عرابي طلب من الإنجليز يدوله حكم مصر على أساس نسبه لـ الحسين بن علي، يعني هو من الأشراف، فـ الخديوي واللي معاه يقرروا يجرسوه، سواء طلع الكلام ده صح ولا غلط، وأهو العيار اللي ما يصيبش يدوش.

عاش عرابي أواخر أيامه في السيدة زينب، بعيد عن السياسة وقرفها، بس قبل ما يتوفى، وفـ رجعته من آسيا، عمل فينا معروف كبير.

جاب معاه بذور مانجة، ودي كانت أول مرة تتزرع في مصر، ومن ساعتها.

وعلى رأي الشاعر اللي قال:

عظيمة يا مانجة.

أديب أفندي إسحق

يعني إيه مصريين

أديب أفندي إسحق، شامي أرمني، اتولد في سوريا، ونشأ في لبنان، ومات في لبنان، بس ما بين نشأته ووفاته قضى معظم حياته في مصر، وكان أغلب نشاطه خاص بـ الشأن المصري، لما كانت مصر بلد كوزموبوليتان قادرة تستوعب أي حد وتبلعه.

اشتغل أول حياته في الجمرك اللبناني، بس موهبته في الشعر والأدب خلوه يسيب شغله ويتفرغ لـ الكتابة، وقبل ما يكمل عشرين سنة، كان ساب الشغل الميري، وألف كتاب، وشارك في تأليف التاني، وعمل مسرحيات، منهم واحدة حققت إيراد ٣٥ جنيه، وإحنا بـ نتكلم في ستينات القرن الـ ١٩.

طالما كتابة وفن ومسرح، كان لازم أديب إسحق ينزل مصر، بعت له واحد صاحبه اسمه سليم النقاش، وقعد شوية في إسكندرية، يألف ويمثل مسرح، بس طالما جه مصر، يبقى لازم ينزل على مصر، اللي هي القاهرة، ويخالط الأوساط الثقافية فيها، وهنا بقى قابل جمال الدين الأفغاني، وبدأت الأفكار الثورية.

كاتب وأفكار ثورية، وأفغاني، يبقى لازم نصدر جريدة، وفعلًا عمل جرنان اسمه «مصر» سنة ١٨٧٧، ومكنش في جيبه أكتر من ٢٠ فرنك، فـ الجريدة نجحت وسمّعت، وبقت مطلوبة، فـ نقل إدارتها لـ الإسكندرية، واشترك معاه سليم النقاش، وكان بـ يكتب في الجرنان ده عبد الله النديم بـ ذات نفسه.

لما زاد توزيع الجريدة، وكانت أسبوعية، قرر يطلعوا جرنان يومي، أيوه في القرن الـ ١٩ كان في مصر جرايد يومية، كان الجرنان اليومي اسمه «التجارة»، ومصر فضلت أسبوعية زي ما هي، لـ حد ما اتقفل الجرنانين لـ أسباب سياسية سنة ١٨٨٠، فـ خلع على فرنسا، وهناك طلع جرنان اسمه «القاهرة»، كان الجرنان بـ العربي، وكان كله شتيمة في السياسة المصرية.

في باريس بدأ يصاب بـ السل، فـ رجع بيروت تاني، وتولى رئاسة تحرير مجلة التقدم، لـ حد ما جاله الفرج بـ إنه ييجي مصر، ويشتغل في ديوان المعارف مرة واحدة، لـ إنه كان على علاقة جيدة بـ شريف باشا، واتعين على الدرجة التالتة.

في وسط ده بـ تقوم «الثورة العرابية» فـ يبقى هو واحد من مؤيديها، وعرابي عرابي، وتحيا مصر، لـ حد ما شريف باشا اختلف مع مؤيدي الثورة العرابية، فـ هو كمان خد صف شريف باشا، وبدأ يشتم في الثورة.

مش بس عشان انحيازه لـ شريف باشا، لكن كمان لأن مؤيدي الثورة رفعوا شعار «مصر لـ المصريين» وهو كان شعار موجه ضد الاحتلال المركب اللي كانت مصر بـ تعاني منه، فـ الفكرة ضد الأنظمة، لكن المصريين مكنوش ضد المواطنين لا الأوروبيين ولا الشوام ولا الأرمن ولا غيرهم، بـ العكس المشاعر بين الناس كانت قوية، وعلى رأي أحمد نجم:

عرفت فيكي الخواجة يني

جريجي لكن مصراوي جني

المهم، الفرق ده مكنش واضح، وبـ نتكلم هنا عن الفرق بين الهجوم على غير المصريين من الحكام، أو غير المصريين من المواطنين، فـ ده خلى أديب واللي زيه يشتموا مؤيدي الثورة، على اعتبار إنهم ليهم «حق» في مصر، زي المولودين في مصر، ويمكن أكتر.

لما اتعزلت وزارة شريف باشا، هو كمان خرج من الشغل، وفضل رايح جي بين مصر وبيروت، وهو مريض بـ السل، اللي بـ يزيد عليه يوم بعد يوم، لـ حد ما اتوفى في لبنان متأثرًا بـ المرض.

كان أديب أفندي إسحق له تلاميذ، منهم واحد اسمه جرجس جبرائيل لمّ اللي قدر عليه من مقالاته بعد ما مات، وطلعها في كتاب سماه «الدرر»، وطبعه على نفقته الخاصة بـ الاشتراك مع حد، وكتب سيرة حياته كـ مقدمة، ودي اللي خدنا منها المقال ده.

إنما تعرف..

بعد الحياة المديدة دي، أديب إسحق كان عمره كام سنة لما مات؟

٢٩ سنة، ما كملش التلاتين.

تحس إن الوقت زمان كان فيه بركة..

سبحان الله!

مينا هاوس

المرارة

بـ ذمتك ودينك، وأنا راضي ذمتك ودينك يا أخي القارئ الكريم، لو فيه أي بلد في العالم، عندها مكان زي اللي هـ أحكي لك عنه دلوقتي، كان ممكن تكسب من وراه كام، وإحنا بـ نكسب كام، أو يمكن بـ نخسر كام.

نشوف الأول وبعدين نحكم:

أيام الخديوي إسماعيل، كان أفندينا بـ يروح يصطاد في الصحرا، فـ جه اختار حتة بتاعة ٤٠ فدان كده، يعملها استراحة من رحلات الصيد، وبـ المرة يعمل فيها اللقاءات، ما هي الأرض كلها كانت بتاعته، يتصرف فيها زي ما هو عايز. الاستراحة دي بناها سنة ١٨٦٩، في نفس سنة افتتاح قناة السويس.

بعدها الخديوي رستأ المكان، وظبطه ووسعه تاني، وظبط شارع الهرم اللي بـ يودي عليه، وزرع فيه حاجات، وخلاه واحة في قلب الصحرا، بس حضرتك عارف إن الدنيا مش بـ تمشي على كيف النفر مننا، والحياة قلابة،

لا بـ تخلي الراكب راكب، ولا بـ تسيب الماشي ماشي.

غرق أخونا إسماعيل في الديون، فـ راح ابنه قرر سنة ١٨٨٣ يبيع القصر اللي اتبنى، بـ الواحة اللي نشأت حواليه (فيه ناس بـ تبيع جزر، مش هـ يبيعوا قصر؟) وباعه فعلًا لـ راجل إنجليزي ومراته كانوا جايين يقضوا شهر العسل، فـ العريس كان عايز يبهر العروسة بتاعته، فـ اشترى لها عزبة تطل على الأهرامات شخصيًا، فيه حاجة زي كده في العالم؟

الراجل والست ولاد المحظوظة دول اسمهم فريدريك وجيسي، وهم اللي سموا القصر ده بـ الاسم اللي هـ نعرفه بيه طول عمره «مينا هاوس»، وسبحان الله يا أخي الإنجليز لما حبوا يختاروا له اسم، اختاروا اسم فرعوني «مينا» على اسم مينا موحد القطرين، دلوقتي مينا بـ نعتبره اسم مسيحي، مش فاهم إيه العلاقة يعني؟

بعد سنتين قِدمت الولية جيسي مع الراجل فريدريك، والانبهار راح، وتلاقيهم خلفوا لهم حتة عيل، وهو طلع له كرش، وهي بقت ريحتها بصل (مش قعدوا في مصر؟) فـ راحوا بايعين البيت لـ جوز إنجليز تانيين، سنة ١٨٨٥، والجوز الجديد كانوا فاهمين اللي فيها، لـ إنهم ما اشتروهوش لـ الاستخدام الشخصي، وإنما عملوه فندق، بس حافظوا على الاسم، وافتتحوه لـ الجمهور في السنة اللي بعدها ١٨٨٦.

لما قامت الحرب العالمية الأولى، حط إيدهم عليه القوات الأسترالية والنيوزلندية، كانوا بـ يستخدموه في أغراض الحرب، وأواخر الحرب خلوه مستشفى رسمي، وبعدها عدت فترة كده سقطت من تاريخ الفندق، لـ حد ما جات الحرب العالمية التانية، وكان لازم تشرشل يتقابل مع روزفلت، مع الراجل بتاع الصين اللي مش عارف أقول ولا أكتب اسمه، في اجتماع شهير، معروف بـ اسم اجتماع القاهرة، واتقابلوا في المينا هاوس.

كل ده وملكية الفندق تابعة لـ الراجل الإنجليزي ومراته، اللي باعوه قبل يوليو لـ شركة مصر لـ الفنادق، اللي اشترت أكتر من فندق، لـ حد ما قامت يوليو، فـ طبعًا الفندق اتأمم، وفضل طول فترة ناصر ملك لـ الدولة، لـ حد ما جه السادات.

يعمل إيه السادات؟

باعه طبعًا لـ شركة هندية، هي اللي مالكاه لـ حد دلوقتي، ولـ إن السادات زي ما إنت راسي، لما حب يعمل مؤتمر تحضيري لـ كامب ديفيد، راح عمله في المينا هاوس، لـ أغراض دعائية طبعًا.

بص، أنا مش هـ أطول عليك، بس دوّر كده في جوجل على أسماء نزلاء فندق مينا هاوس في التاريخ، وإنت تتخض، والمصحف تتخض، أباطرة ملوك رؤساء مسئولين فنانين نجوم من كل صنف ولون، ولا أقول لك، شوف الأفلام العربية والأجنبية اللي اتصورت فيه.

بعد ما تشوف ابقى تعالى قول لي حاسس بـ إيه.

اااااه يا مرارتي!

الإيموبيليا

عبود عبود عبود

عارف حضرتك إنت عمارة الإيموبيليا اللي في وسط البلد، اللي هي فـ تقاطع شريف مع قصر النيل فـ وش البنك المركزي، أهي العمارة دي تاريخ، وممكن نتكلم عن حاجات كتير تخصها.

أقول لك مثلًا إنها لـ فترة طويلة، محدش كان مسموح له يسكن فيها، أو يأجر مكتب إلا إذا كان أهلاوي، ولا أقول لك على لقاء نجيب الريحاني بـ ليلى مراد، وقصة فيلم «غزل البنات»، ولا أقول لك إن الأسانسير بتاعها هو اللي أوحى لـ صلاح أبو سيف بـ فيلم بين السما والأرض.

تفتكر ممكن نتكلم إنها لـ فترة طويلة كانت أطول وأضخم عمارة في مصر، ولا أحسن أكلمك عن أبرز ملاكها في تاريخها، أحمد عبود باشا، أيوه، خلينا فـ عبود، الراجل ده حكايته مغرية جدًا.

ده واحد بدأ حياته في القرن الـ ١٩ بـ إنه ابن راجل عنده حمام شعبي، وهو بـ يدرس، وبـ يساعد أبوه في الحمام أيام الأجازات، ولما مات كان

مليونير، ومليونير وقتها أكبر بـ كتير من ملياردير دلوقتي، واشتغل في كل حاجة، وكانت سكته سالكة، واضح فعلًا إن أمه كان داعياله جامد، وباب السما مفتوح.

أول حاجة درس في المهندس خانة، وبعدين راح بريطانيا يدرس الهندسة، وأول ما اتخرج، رجع مصر، واتعين في «وابور التفتيش»، اللي كان ملك واحد فرنساوي، كونت، وكان في الصعيد، في آخر الصعيد، تحديدًا في أرمنت بـ قنا.

بعد شوية، هـ يسيب الوابور، ويروح يشتغل في المقاولات مع الإنجليز، وكان بـ ياخد عمليات لـ حساب الجيش الإنجليزي في فلسطين، ثم بقى الحظ لما يواتي، اتعرف على بنت مدير الأشغال في الجيش الإنجليزي، وحبها واتجوزها. وشوف إنت لما حماك يبقى مدير الأشغال، فتحت له من وسع.

بعد المقاولات دخل على النقل، وبدأ بـ شركة نقل عربيات، فضل يشتري في أسهمها، لـ حد ما استحوذ على نصيب الأسد، شوية والبر مش هـ يكفيه، راح داخل على البحر، وبقى عنده أسطول بواخر ملكه، بـ أرصفته بـ ورشه بـ سلطاته بـ بابا غنوجه.

مش هـ أطول عليك، الراجل ده اشتغل في كل حاجة، عايز أقول لك إيه أكتر من إنه شارك في مد خطوط السكة الحديد في العراق، وشارك في مشروعات الري الكبرى هناك مع السير ويليام ويلكوكس شخصيًا، وادوله في مصر طبعًا البكوية، ثم خد الباشوية سنة ١٩٣٠ من الملك فؤاد.

اشترى أسهم في شركة السكر المصرية، وكان رئيس مجلس إدارتها بلجيكي، وله وريث واحد، مات في الحرب (الوريث)، فـ استحوذ هو على الشركة، وبقى رئيس مجلس إدارتها، ومن الحاجات اللي عملها إنه

راح أرمنت واشترى القصر اللي كان بتاع الكونت الفرنساوي اللي كان شغال عنده أول حياته.

كانت عمارة الإيموبيليا واحدة من ممتلكاته الكتير جدًا، واللي قُدّرت استثماراته بـ ١٠٠ مليون دولار، تاني ١٠٠ مليون دولار، ولـ إنه كان أهلاوي جدًا، فـ كان رئيس النادي الأهلي طبعًا، واللي بـ يصرف على النادي، علشان كده محدش كان بـ يسكن في عمارة الإيموبيليا لو اتضح إن له ميول لـ تشجيع المختلط، كان بـ يسكن الأهلاوية بس.

لما قامت يوليو، كان فاهم طبعًا اللي بـ يحصل، وإن الناس دي هـ تأمم الشركات والأموال، فـ راح محوّل فلوسه كلها، أو اللي عرف يحوّله لـ أوروبا، وراح اشتغل في بريطانيا، وحقق نجاحات أكتر من اللي حققها في مصر، بس ما طولش كتير هناك، ومات سنة ١٩٦٤. ربنا يرحمه ويرحم الجميع.

لعنة دنشواي

العـــار

حادثة دنشواي، ١٩٠٦، من الحاجات المحفوظة والمحفورة في تاريخ مصر، والحكاية إن كام ظابط إنجليزي راحوا يصيدوا الحمام، وكانوا في قرية اسمها «دنشواي»، محافظة المنوفية، فـ مؤذن القرية لاحظ إنهم بـ يصطادوا وسط الأهالي والزراعات وممكن تحصل مشكلة.

الظباط ما فهموش كلام الراجل، علشان اختلاف اللغة، فـ الحوار اتطور، وطلع عيارات من بندقية واحد من الظباط، قتل مرات أخو المؤذن، كان اسمها أم صابر، وولع في التبن، فـ طلع المؤذن وسط الناس يقول: «الخواجة قتل المرة وحرق الجرن».

حصلت مطاردات من الأهالي لـ العساكر اللي ما بقوش فاهمين الوضع، وواحد منهم خد ضربة شمس مات فيها، فـ جت القوات الإنجليزية وقبضت على الأهالي بـ شكل عشوائي، وقدموا لـ المحاكمة ٩٢ فلاح مصري، تمت إدانة ٣٦ منهم، أربعة اتعدموا، والباقي ما بين الأشغال الشاقة المؤبدة والجلد.

اللي يهمنا هنا إن فيه تلاتة مصريين شاركوا في المحاكمة، والتلاتة طاردتهم لعنة المحكمة الشؤم دي طول اللي فضل من عمرهم، اتنين كانوا قضاة، وواحد كان ممثل النيابة.

أول القضاة كان بطرس باشا غالي، اللي هـ يتم اغتياله سنة ١٩١٠، وده حكينا حكاية اغتياله أكتر من مرة، بس إبراهيم الورداني اللي قتل بطرس غالي ما قتلوش علشان دنشواي، كان بـ سبب قناة السويس، بس الحكاية كلها منفدة على بعضها.

قبل ما نشوف القاضي التاني، خلينا نشوف ممثل النيابة، اللي هو إبراهيم الهلباوي، المشهور بـ اسم جلاد دنشواي، مرافعته في المحكمة كانت من أعجب الحاجات اللي اتقالت في تاريخ مصر، ومنها:

«إن الاحتلال الإنجليزى لمصر حرر المواطن المصري وجعله يترقى ويعرف مبادئ الواجبات الاجتماعية والحقوق المدنية، وإن هؤلاء الضباط الإنجليز، كانوا يصيدون الحمام في دنشواي، ليس طمعًا في لحم أو دجاج، ولو فعل الجيش الإنجليزي ذلك لكنت خجلًا من أن أقف الآن أدافع عنهم»

بعدين شاور على الفلاحين المتهمين وقال:

«هؤلاء السفلة، وأدنياء النفوس من أهالي دنشواي، قابلوا الأخلاق الكريمة للضباط الإنجليز بالعصي والنبابيت، وأساؤوا ظن المحتلين بالمصريين بعد أن مضى على الإنجليز بيننا خمسة وعشرين عامًا، ونحن معهم في إخلاص واستقامة»

الكلام كان بـ يوجع أكتر من الأحكام، ويبدو إنه حس بعدها بـ بشاعة الكلام اللي قاله، واللي عمله، فـ قعد بعدها يحاول يكفّر عنها بـ كل السبل، لـ درجة إنه تطوع بـ الدفاع عن إبراهيم الورداني اللي قتل بطرس غالي، وربط في دفاعه بين اغتيال غالي وحادثة دنشواي، وقال نصًا:

«المصريون كلهم كرهوا محاكمة دنشواي، واحتقروا كل من شارك فيها ودافع عن المحتلين الإنجليز، ولست هنا في مقام التوجع ولا الدفاع عن نفسي، ومع ذلك أستطيع أن أؤكد أن الشعب المصري يحتقر كل من يدافع عن المحتلين أو يأخذ صفهم أو يبرر جرائمهم.

وأؤكد أيضًا أن مواطنينا لم يُقدّروا الظروف التي دفعتني أنا وغيري إلى ذلك، لهذا جئت للدفاع عن الورداني الذى قتل القاضي الذى حكم على أهالي دنشواي بالإعدام، جئت نادمًا أستغفر مواطنينا عما وقعت فيه من أخطاء شنيعة.

اللهم إني استغفرك وأستغفر مواطنينا»

بس حتى الخطبة العصماء دي ما شفعتلوش، وعاش حياته بـ ذنبه.

القاضي التاني بقى كان فتحي زغلول، أخو سعد زغلول الصغير، وفي الوقت اللي كان سعد رمز وطني أخوه كان رمز لـ الخيانة والتعاون مع الإنجليز، وكان على علاقة وثيقة بـ اللورد كرومر، وده اللي خلى سعد زغلول يقاطعه بقية حياته.

فيه ناس بـ تفسر تعاون فتحي مع الإنجليز بـ إنه كان غيران من سعد، ومن حب المصريين ليه، فـ كان بـ يعمل أي حاجة عكسه، أو زي ما قال الشاعر: «لن أعيش في جلباب أخي».

عمومًا، الفرق بين زغلول والهلباوي إن الهلباوي اعتذر، إنما زغلول فضل مصمم لـ النهاية..

يالا، ربنا يرحم الجميع.

نقابة الصحفيين

١٩٠٩ يا مؤمن

محاولات تأسيس نقابة لـ الصحفيين في مصر قديمة، يعني سبقت ظهور دول مجاورة بـ عشرات السنين، أول محاولة كانت سنة ١٨٩١، وكانت الشرارة من الأهرام، واتعملت محاولات كتيرة بعدها، لـ حد ما اتأسست أول نقابة فعلًا سنة ١٩٤١.

من المحاولات اللي نحب نتكلم عنها، محاولة ١٩٠٩، والحكاية تبدأ من عند بطرس غالي، اللي هو أبو بطرس غالي اللي كان شبه وزير خارجية، وجد يوسف بطرس غالي الوزير الهربان، وغالي الكبير كان رئيس وزرا، أيوه رئيس وزراء مصر كان مسيحي عادي.

بطرس غالي، زي أي مسئول وقتها، كان بـ يهاين مع الإنجليز، وده اللي أدى لـ اغتياله في النهاية على إيد إبراهيم الورداني اللي حكينا حكايته في كتاب «كل العواطف»، لكن اللي يخصنا هنا هو علاقة غالي بـ الصحافة.

الراجل، كـ رئيس حكومة تقليدي، مكنش يحب الصحافة، دايمًا الحكومات

بـ تحتقر الصحافة والصحفيين، خصوصًا اللي بـ يعارضوا، المسئول من دول بـ يبقى شايف إن الصحافة بـ تكتب وهي إيدها في المية، واللي إيده فـ المية مش زي اللي إيده فـ دورة المية، فـ لو كان ولا بد من الصحافة، فتبقى اللي تكتب اللي بـ نقولهوها، واللي على هوانا.

حكومة بطرس باشا غالي استلمت شغلها بعد استقالة وزارة مصطفى فهمي باشا في ١١ نوفمبر ١٩٠٨ ويا دوب مر عليها في شغلها كام أسبوع واشتغلت الحساسية الخاصة بـ الصحافة والصحفيين، وبدأت قرون الاستشعار تشتغل ضد المعارضين منهم، وجات الفرصة المناسبة في الاحتفال بـ افتتاح قناطر إسنا، وفي حضور جناب الخديوي عباس حلمي الثاني (غير بتاع العباسية).

الاحتفال اتحدد موعد إقامته في أوائل ١٩٠٩، والحكومة قررت عدم دعوة الصحفيين المعارضين لها إلى هذا الاحتفال، وحسب جريدة «لينوفيل» الناطقة بـ الفرنسية، ممثلي الصحافة العربية في القاهرة اجتمعوا يوم الجمعة ٢٩ يناير ١٩٠٩، وخدوا قرار تاريخي احتفلت بيه الصحافة الأجنبية في مصر.

كان القرار الناتج عن الاجتماع، هو تجاهل الاحتفال المذكور وعدم نشر أي شيء عنه، ورفض الدعوة التي اتوجهت من الحكومة لـ بعض الصحفيين، على اعتبار إن الدعوة لازم تكون لـ كل الصحفيين.

«لينوفيل» بـ تقول كمان إن الصحافة الأجنبية في مصر خدت نفس القرار معتبرة إنه آن الأوان بقى لـ «**ترك الجدال والمناقشات واتخاذ موقف موحد**»، ونادت بـ «**وجوب الوقوف صفًا واحدًا للدفاع عن حقوق الصحافة والصحفيين، ما دامت الحكومة مصرة على التعامل معهم بهذا القدر من السفاهة والغلظة**» بـ حسب التعبيرات اللي ذكرتها الصحيفة نصًا.

لما تقرا كلام الصحيفة المذكورة تحس إنك ماشي في شارع عبد الخالق ثروت النهارده الصبح، نفس المانشيتات، نفس الصياغة، كل حاجة بـ حطة إيدك، خد عندك مثلًا:

«**إن الصحافة هي عنوان التحرر وهادي الساسة وصوت البلاد، والصحفيين يخدمون وطنهم في إخلاص ويذودون عن أمانيه داخليًا وخارجيًا، وهم في غير مصر يُقدّرون ويُحترمون ولا يُنكر أحدٌ عليهم حقوقهم، بينما في مصر يعاملون بامتهان**».

يوم السبت ١٣ مارس ١٩٠٩ اجتمع محررين الصحافة العربية في صالة محل اسمه splendid bar لـ النظر في أمر إنشاء نقابة لـ الصحفيين تدافع عن مصالحهم الأدبية والمادية، وكان داود أفندي بركات رئيس تحرير جريدة الأهرام أول واحد يدعو لـ كده، وقرأ على زملاؤه الحاضرين تقرير مفصل جهّزه عن المشروع.

الحاضرين وافقوا على المشروع بـ الإجماع، بعد ما عملوا بعض التعديلات، وخلوا رياسة النقابة الجديدة لـ مقدم المشروع، وانتخبوا سامي أفندي قصيري أمين لـ الصندوق، وجورج أفندي طنوس سكرتير، وسيد أفندي علي، وإسكندر أفندي شاهين، وحافظ أفندي عوض، وعوض أفندي واصف، وسليم أفندي سركيس، والشيخ يوسف الخازن أعضاء.

تخيل، ده كان بـ يحصل في مصر من ١٠٧ سنة، وييجي واحد يقول لك تيران وصنافير سعودية، يا أخي....

ولا بلاش..

كمال الدين حسين

نار الحب ولا جنة العرش

أيتها الحلم

ما أتعسني بعيدًا عنك

القصر الذي أعيش فيه

أشد وحشة من كوخ صغير

المجد الذي حولي

هو ذل وهوان بدونك

عبارة الغزل الشعرية دي، كانت مقدمة جواب غرامي، محدش عارف إذا كان حقيقي ولا متفبرك، بس كونه مرتبط بـ عرش مصر، هو اللي هـ يخلينا نبص على حكايته، فـ نبدأها من الأول:

السلطان حسين، ابن الخديوي إسماعيل، تولى عرش مصر سنة ١٩١٤، لما اتفرضت الحماية البريطانية على مصر، ولقب سلطان كان سببه إن حاكم

الدولة العثمانية سلطان، فـ كان الغرض هو إعلان استقلال مصر عن الأتراك، وسموا الحاكم سلطان.

الوريث «الشرعي» لـ عرش السلطان حسين كان ابنه البرنس كمال الدين حسين، اللي خلفه من عين الحياة بنت أحمد رفعت اللي مات في كفر الزيات، وشفنا حكايته.

قبل ما يموت السلطان حسين، هـ يظهر في الصورة الأمير فؤاد، ابن الخديوي إسماعيل، اللي هـ يعرضوا عليه يبقى ملك على ألبانيا، فـ يرفض ويفضل إنه يقعد في مصر في الديوان، رغم إنه مش وريث العرش، بس شكله كان قاري اللي فيها.

فعلًا، كمال الدين حسين ابن السلطان قرر يتنازل عن العرش لـ الأمير فؤاد، واشترط عليه إن التنازل ده يقرب ما بينهم ما يبعدش، والغريب إن ده محدش كتير وقف عنده، ولا سرت الإشاعات كـ ما هي العادة في المواقف اللي زي دي، وفؤاد بقى السلطان من غير أي مشاكل، قبل ما يتحول فؤاد لـ أول ملك مصري.

بعد ١٥ سنة من الحكاية دي، هـ يتعب الأمير كمال الدين حسين، ويصاب بـ جلطة، ويدخل مستشفى الأنجلو أمريكان، ولـ إن الطب مكنش لسه اتقدم، كان علاجه الوحيد بتر رجله، فـ يصر على تأجيل العملية لـ حد ما يكتب وصيته لـ مراته نعمة الله بنت الخديوي توفيق، بـ إنها تاخد القصر بتاعه، اللي هـ تتبرع بيه ويبقى مبنى وزارة الخارجية القديم.

الأغرب إنه بعد إجراء العملية صمم البرنس إنه يروح فرنسا، إشمعنى فرنسا؟ محدش كان عارف، بس هو صمم، وراح بـ الفعل، واتوفى هناك في ٦ أغسطس ١٩٣٢.

زي ما قال الفرنسيين: فتش عن المرأة، فـ بعد وفاة البرنس، هـ تظهر ست فرنساوية، اسمها مدام فيال ديمنييه، معاها محامي، وهـ تدعي إنه كان متجوزها، وإنه مخلف منها ولد في السر، وجاية تطالب بـ ميراث الابن ده من أبوه، حسب ادعاءها، فـ طبعا الملك فؤاد قال لها: أمك في العشة ولا طارت، إحنا مش بـ نعترف غير بـ الجوازات اللي بـ يعقدها البلاط الملكي، غير كده ما أعرفكيش.

المحامي كان متوقع الرد ده، هو بس كان بـ ياخد خطوة لابد منها، فـ راح المحاكم المختلطة يطالب بـ الميراث المزعوم، وقدم أدلة تثبت العلاقة بين كمال الدين حسين وفيال، اللي يهمنا من الأدلة دي جواب غرامي من البرنس لـ العشيقة السرية، بـ يقول لها فيه:

«أيتها الحلم ما أتعسني بعيدًا عنك، القصر الذي أعيش فيه أشد وحشة من كوخ صغير، المجد الذي حولي هو ذل وهوان بدونك. إنني أكره كل شيء حولي لأنني لا أحب سواك. إن والدي السلطان حسين كامل عرض علي اليوم أن أكون ولي عهده. أي سخافة هذه! إن معني ذلك أن أفتقدك ولا أستطيع أن ألقاك كما أشاء وأين أشاء.

حين قلت له: «لا»، ذُهل ولم يفهم، لأنه لا أحد في الدنيا يمكن أن يتخيل أن حبك عندي هو حلمي الوحيد في الحياة، حتي إنني بين ذراعيك أنسى أنني أمير وأشعر أنني عبد، أريد أن تنتهي الأزمة بيني وبين أبي لأحضر إليك، إن قيام الحرب لا يمنعني أن أترك مصر وأحضر إليك خصيصًا لأعانقك».

بـ غض النظر عن إن القضية اتنست في دهاليز المحاكم، بس لو صحت، يبقى الراجل ضحى بـ عرش مصر، علشان عرشه في قلب الست.

حِكَمْ.

واحة جغبوب

متعودة.. دايمًا

اوعى تفتكر إن تيران وصنافير أول أرض تتنازل عنها السلطة في مصر، وتعمل اتفاقية غصبن عن عين الشعب تسلم بيها حتة من مصر لـ دولة تانية، وخليني أحكي لك الحكاية دي.

سنة ١٩٢٥ حصلت مفاوضات بين مصر وإيطاليا لـ ترسيم الحدود ما بينهم، مش غريبة على فكرة، مصر كانت دولة مستقلة، حتى لو كان استقلال منقوص، بس كانت مستقلة، في حين كانت ليبيا تحت الاحتلال الإيطالي، فـ كان طبيعي وقتها إن حدود مصر الغربية تترسم مع إيطاليا.

الخلاف بيننا وبينهم كان على حتتين أرض، الحتتين مصريتين، بس إيطاليا صممت إنهم تبعها: الحتة الأولى كانت خليج السلوم، والهضبة اللي بـ تطل عليها لـ حد بردية غربا، والحتة التانية كانت واحة جغبوب، وكان اللي بـ يقود المفاوضات من الجانب المصري، إسماعيل صدقي، اللي كان وزير في حكومة زيور باشا، ومن الناحية الطليانية كان واحد اسمه نجروتو كامبيازو.

حسب مذكرات إسماعيل صدقي، مصر كانت مهتمة بـ الحتة الأولى، وعلشان تاخدها مستعدة تتنازل عن التانية، على أساس إنه مستحيل ناخد الحتتين، ما أعرفش ليه مستحيل إذا كانوا بتوعنا، بس هو ده اللي كان ماشي، والمفاوضات قعدت تستمر وتقف كذا مرة.

في النص، إسماعيل صدقي استقال من الوزارة، بس الحكومة كلفته يستمر في متابعة الملف، بل زودوا الموضوع بـ إنهم سمحوا له يسافر يقابل موسوليني بـ ذات نفسيته علشان يقفلوا الملف ده تمامًا.

فعلًا تم الاتفاق بـ حصول مصر على خليج السلوم، وحصول إيطاليا على واحة جغبوب، وتم توقيع التنازل المصري برئاسة زيور باشا يوم ٦ ديسمبر ١٩٢٥، بس كان لازم طبقًا لـ الدستور المصري عرض الأمر على البرلمان لـ إقرار الاتفاقية.

وقتها مكنش فيه برلمان لـ إنه حكومة زيور باشا حلّته، فـ كان لازم الانتظار لـ حد انتخاب برلمان جديد، وتخيل يا أخي إنه وقتها كان البرلمان برلمان بـ جد، مش كده وكده، يعني ما استقبلوش موسوليني في مجلس النواب وقعدوا يهتفوا بـ حياته، ويصقفوا له مع كلمة مش مفهومة تطلع من بقه، ولا يحزنون، بـ العكس البرلمان الجديد رفض بـ أغلبية مطلقة توقيع الاتفاقية.

سنة ١٩٢٦ استقالت حكومة زيور باشا، والوضع كان لسه معلق، والأمر اتعرض تاني وتالت ورابع على البرلمان، والبرلمان فضل يرفض لـ حد سنة ١٩٣٠ ما جات، وجابت معاها خبر غير سار لـ الأمة المصرية، لـ إن إسماعيل صدقي، اللي عمل الاتفاقية جه رئيس وزرا، وشكّل الحكومة.

الفاجعة في تولي صدقي الحكومة مكنتش بس في ملف واحة جغبوب، الراجل عمل انقلاب كامل لـ درجة إنه ألغى دستور ١٩٢٣، اللي كانت مصر بـ تفتخر بـ إنها قدرت تنجزه (وقتها دول الخليج بـ الكامل مكنتش لسه ظهرت لـ الوجود)، إسماعيل صدقي ألغى الدستور، وعمل دستور جديد عمولة، هو دستور ١٩٣٠.

مع الدستور الجديد كان طبيعي يتحل البرلمان وييجي برلمان جديد، وزي ما قدر إسماعيل صدقي يعمل دستور على مقاس حكومته، قدر يعمل انتخابات مزورة بـ الكامل، أشرف هو بـ نفسه على تزويرها، وكانت الأحزاب السياسية قاطعت الانتخابات، ما عدا بعض الأحزاب الكارتونية، وجه برلمان ماركة صنعة إيديا وحياة عينيا.

ملف واحة جغبوب كان واحد من ملفات كتيرة كان عايز إسماعيل صدقي يمررها من خلال مجلس النواب بتاعه، وفعلًا وقّع البرلمان الاتفاقية اللي ظهرت لـ الوجود رسميًا في يونية ١٩٣٢، واللي بـ مقتضاها أصبحت الأرض المصرية أرض إيطالية، ثم لما مشيت إيطاليا من ليبيا بقت واحة ليبية بـ مقتضى الاتفاقية.

وكل عام وإنت بـ خير..

ودمتم.

يمين الملك فاروق

علمانية علمانية

لما مات الملك فؤاد، مكنش ابنه فاروق بلغ السن القانونية لـ تولي العرش، وفي الحالة دي اللي بـ يحصل، إن الابن الصبي بـ يبقى هو الملك، بس بـ يكون فيه شخص وصي على العرش، وفي حالتنا دي الشخص ده كان الأمير محمد علي، صاحب القصر الشهير اللي في المنيل.

واضح إن الأمير كانت عينه على العرش بـ شكل أو بـ آخر، لـ إن أسرة الملك فاروق كانت عايزة تخلص من الوصاية بـ أسرع طريقة، علشان كده استصدروا فتوى من الأزهر بـ تقول إنه ممكن حساب سن الملك الصغير بـ السنين الهجرية، كده ممكن تفرق لها سنة، فـ يخلصوا، وده اللي حصل بـ الفعل.

لما قرب ميعاد التنصيب، كان رأي الأمير محمد علي إن الاحتفال لازم يبقى ديني، نمشي على سنة الخلفاء المسلمين، ولازم نشوف العثمانيين بـ يعملوا إيه ونعمل زيهم، وعمل شوية اقتراحات بـ هذا الخصوص.

قال لك ندعي لـ الحفلة دي الأمرا وكبار الرسميين وممثلي الهيئات السياسية وكبار العلماء والشيوخ والقضاة، ويقف شيخ الأزهر بين إيدين الملك، ويدعي له، ويقرا صيغة معينة، فـ الملك يرد عليه، وبعدين يقسم فاروق اليمين الخاص بالولاء لـ شعبه والبر بـ قوانينه والعمل علي رفاهية الأمة وإسعادها.

ونستكمل تخيلات الأمير محمد علي، اللي جبناها من كتاب سعيد الشحات، «ذات يوم»، المذكورة فيه الحكاية بـ كاملها، بـ إنه بعد ما الملك يقسم، يقدم له شيخ الأزهر سيف محمد علي باشا، جده الكبير.

فضل الاقتراح ده في محيط القصر، وأول ما طلع طبعًا، طلع على الأزهر، اللي العلماء ما صدقوا وشافوا إنه كده تمام، واقترحوا يشكّلوا وفد منهم، يروح لـ الملك الصغير ويأيدوا الفكرة ويدعموها، ومن الأزهر لـ الإخوان، حسن البنا قال طبعًا يا ريت. الأزهر والإخوان كانوا مرحبين لـ إن ده بـ يدي الحكم صبغة دينية، وهم نفسهم طبعًا إن الحكم يبقى ديني صرف.

وسعت الحكاية ووصلت الصحافة، فـ بدأت الجرايد تلوك لوك في الموضوع، وفيه جرايد تبنت الموضوع زي الأهرام بـ التأكيد، متعودة.. دايمًا، وزي جرنان «البلاغ» اللي بـ يكتب فيه العقاد، وراح ناتع مقال، يوم ١ يوليو ١٩٣٧ قال فيه:

«هذه الحفلة الدينية ليست شرًا في ولاية الملك، وإنما هي من المراسم كإقامة الحفلة العسكرية، ولا تتعارض مع الدستور الذي ينص علي أن الإسلام دين الدولة، وليست لها صفة البيعة التي تتوقف عليها الولاية».

اللي يهمنا في كلام العقاد إنه كان عايز يوفق بين ده، وبين الشكل الدستوري اللي إحنا عايزين نعمله بـ اعتبارنا دولة حديثة يعني وكده.

بس فيه جرايد رفضت الحكاية دي، وقالت إن دي أجواء دينية، ومصر معروف إنها دولة يتبارى فيها المسلم وغير المسلم، والدين لله والوطن لـ الجميع، اللي كان شعار الوفد.

الوفد كمان كان مشكّل الحكومة بـ رئاسة مصطفى النحاس، والحكومة اجتمعت وقررت بـ شكل حاسم رفض كل هذا الكلام، وإنها مش هـ تسمح بـ أجواء دينية، حتى لو الملك عمل ده مع الأزهر والكنيسة والمعبد اليهودي (لـ إنه ده كان حل مطروح لـ تمرير الفكرة).

بعدها على طول الملك الشاب كان في رحلة لـ باريس، وواخد معاه رئيس الديوان الملكي أحمد حسنين باشا، وكان معاهم محمد التابعي، الصحفي العظيم، فـ مصطفى النحاس استغل وجوده في لندن، وراح معدي على باريس، وسأل الملك عن اللي بـ يحصل، فـ الملك رد بـ إنه لسه ما قالش كلمته الأخيرة، فـ حذره النحاس باشا، واتكلم كمان مع حسنين والتابعي، وأكد لهم إن حكومة الوفد مش هـ تسمح بـ الكلام ده، فـ هم نصحوا الملك بلاش، فـ لما رجع مصر رد بـ شكر اللي اقترحوا، ورفض الفكرة، وحلف اليمين في البرلمان زي ما بـ يقول الدستور.

هاااااااح..

أحمد حسين

عركة القرش والطربوش

الحياة السياسية معقدة، والحاجات داخلة فـ بعضيها، وتقريبا محدش بـ ياخد موقف لـ وجه الله والوطن، تعالى أحكي لك الحكاية دي:

كان فيه طالب في أواخر العشرينات أوائل التلاتينات اسمه أحمد حسين، ده يبقى أخو عادل حسين، وعادل حسين كان معروف لـ حد سنة ٢٠٠٠، وله حكايات نبقى نحكيها بعدين.

أحمد حسين كان طالب متحمس من يومه، وكان كوّن وهو صغير في المدرسة الإلزامية (ابتدائي وإعدادي) جمعية اسمها «نصر الدين الإسلامي»، وكان شريكه فيها فتحي رضوان، بس ناظر المدرسة ضغط عليهم وحلوها، أيوه طلبة المدارس الإلزامية في مصر كانوا بـ يمارسوا السياسة وقتها.

لما بقى أحمد حسين طالب، كان واحد من ملامحه إنه مبادر، من الناس اللي بـ تحب تترجم أفكارها لـ مبادرات وحاجات تتنفذ على أرض الواقع: جمعية، حزب، حركة، يعني من أنصار كراهية التنظير وتشجيع الحركة.

حسين هـ يبقى في أوائل التلاتينات طرف في معركتين، يبانوا ماهمش دعوة بـ بعض، لكنهم كانوا مرتبطين لـ أبعد ما تتخيل، وهم «معركة القرش»، و«معركة الطربوش».

نبدأ بـ المعركة التانية، حضرتك عارف إن المصريين كانوا بـ يلبسوا الطربوش وقتها، والطربوش ده كان جي من تركيا، اللي هي الدولة العثمانية، فـ بـ النسبة لـ تيارات كتير كان الطربوش هوية مصر في مواجهة المحتل الإنجليزي، في حين كان فيه تيارات تانية شايفة إن الطربوش لو هو رمز، فـ هو رمز لـ الاحتلال والتخلف، وإحنا لو لازم نلبس حاجة فوق دماغنا، يبقى البرنيطة.

كانت البرنيطة البريطانية وقتها رمز لـ الليبرالية والحداثة، فـ كان تيار ليبرالي على راسه سلامة موسى بـ ينادي بـ إن مصر لـ المصريين، ولو فيه احتلال لازم نتخلص منه، فـ هو الاحتلال العربي والإسلامي، اللي كان سبب في إن العثمانيين حكمونا قرون، وخلونا متخلفين عن العالم.

وقتها، مصر كانت بـ تستورد الطربوش من بره، بعد ما المصنع اللي بناه محمد علي قفل، ضمن حاجات كتير قفلت لما مشروع محمد علي نفسه بح، وما بقاش موجود، واللي فضل له منه إن ولاده توارثوا العرش.

من ناحية تالتة، كان فيه ناس في مصر ميالين ناحية الاشتراكية، وبعضهم مكنش بـ يربط الاشتراكية بـ الماركسية، كان مديها وش قومي أو إسلامي، وكان فيه كلام وقتها إن الإسلام نفسه بـ يدعو لـ الاشتراكية، لكن كان فيه ناس ميالين لـ الرأسمالية، ومنهم الليبراليين طبعًا.

أحمد حسين حب يربط القضيتين بـ بعض: الاشتراكية والهوية الإسلامية، فـ دعا لـ «مشروع القرش»، اللي هو لو كل واحد مصري دفع قرش،

هـ يبقى عندنا فلوس كتير، عائدها يرجع لـ المصريين، وأول حاجة يعملوها بـ الفلوس يبقى مصنع طرابيش، منها يوفروا الفلوس اللي مصر بـ تستورده بيها، ومنها تأكيد الهوية.

مين لقط الفكرة دي، وعملها تسهيلات كبيرة؟

إسماعيل صدقي.

اللي كان داخل معركة كبيرة ضد الوفديين، فـ هو كان شايف إن مشروع زي ده بـ يصب في اتجاه عكس الوفد، فـ تمام، فـ كان حتى الموسيقى العسكرية بـ تشارك في الحملة، وأحمد بيه شوقي نتعهم قصيدة تدعمهم:

علم الآباء واهتف قائلًا

أيها الشعب تعاون واقتصد

اجمع القرش إلى القرش يكن

لك من جمعها مال لبد

ونجحوا أول سنتين في جمع ٢٨ ألف جنيه، اللي كانوا مبلغ ضخم جدًا، وبيه قدروا يبنوا مصنع لـ الطرابيش في العباسية، في شارع مصنع الطرابيش طبعًا.

فضل الوفد يحارب الفكرة، ويهاجم أحمد حسين، وسموه حرامي القرش، واتهموه صراحة بـ اختلاس فلوس الحملة، وفضلوا وراه لـ حد ما استقال من أمانة جمعية القرش، وعمل جمعية تانية اسمها جمعية «مصر الفتاة»، بس دي حكاية تانية خالص.

بمبة كشر

العالـمة باشـا

طول عمر الرقاصة متهمة، أو خلينا نقول مدانة، حتى أهل الفن مش بـ يتعاملوا معاها على إنها فنانة، ونادرًا ما شافت مصر رقاصة قدرت تاخد وضع اجتماعي مميز، مهما كان وضعها الاقتصادي، ومهما وصلت شهرتها. بس بمبة كشر كانت استثناء.

بمبة كشر اسم مشهور، وتاريخ مش معروف، وفيه ناس بـ تتعامل مع الاسم بـ اعتباره لـ شخصية خيالية أو أسطورية، بس بمبة كشر اسم لـ واحدة عاشت في مصر، أواخر القرن الـ ١٩، أوائل القرن، وكان ليها صيت مسمع في كل مكان.

أبوها كان اسمه أحمد مصطفى مقرئ قرآن مشهور، وجدها، أبو أبوها، عين من أعيان المحروسة اسمه مصطفى كشر، اللي خدت منه اللقب بتاعها،

وهي نفسها اسمها بمبة، على اسم أم عباس، وجدها لـ أمها كان الملك الأشرف أيتال، عيلة مأصلة يعني، مستحيل حد يتخيل يطلع منها رقاصة، بس أهو حصل، كمان أختها نبوية خلفت بنت، هي المطربة المعروفة فتحية أحمد.

بدأت قصة بمبة لما أبوها اتوفى وهي عندها ١٤ سنة، فـ أمها اتجوزت المقرئ الخصوصي بتاع الخديوي توفيق، راحت بمبة وإخواتها قاطعوا أمها، وسكنوا في بيت تاني، البيت ده كان جنب بيت عالمة معروفة، اسمها «سلم»، هي اللي اكتشفت موهبة بمبة كشر، وخدتها معاها في حفلاتها.

اللي خلى بمبة كشر توافق على إنها تشتغل مع العالمة التركية هي إنها مكنتش بـ تتعامل غير مع علية القوم، فـ كانت الحكاية صاينة نفسها، ومفيهاش مرمطة، لـ درجة إن بمبة كان عندها ركوبة بـ سواق، ولما نتكلم عن ركوبة، فـ إحنا نقصد حمار، ده كان بديل العربية وقتها.

طبعًا كان فيه صعوبات بـ تواجه بمبة، زي حكاية إن فيه راجل بـ يسوق لها الحمار، ويوديها ويجيبها، وفـ أوقات متأخرة، فـ اتجوزته فترة، بس لما كبرت، واستقلت عن «سلم»، اتطلقت منه واتجوزت فنان معروف اسمه سيد الصفتي.

بمبة بقت أشهر رقاصة، وكانت بـ ترقص بـ الصينية، وكانت بـ تنظم مهرجانات لـ الرقص كانت تسميها حفلات الزار، الحفلات دي كان بـ يحييها اتنين من كبار الصييتة هم صالح عبد الحي وعبد اللطيف أفندي البنا (المطرب اللي صوته زي صوت الستات ده)، وكانت الأغاني تبدأ

الأول وبعدين يبدأ مهرجان الرقص، اللي بـ تبدؤه هي ويختم بـ صبيانها من الرقاصات اللي بـ تكتشفهم، ومكنتش ترقص إلا عند البهوات والباشوات، والفلوس جريت فـ إيدها، ولما منافستها الوحيدة «شفيقة القبطية» جابت حنطور، راحت هي كمان جابت حنطور، وكانت بـ تأجر ناس يفسحوا لها السكة وهي ماشية، وكانوا بـ يغنوا لها: يا بمبة كشر يا لوز مقشر.

مش بس عيلة بمبة كشر هي اللي كانت بـ تتباهى بيها، كمان جوازاتها كانت كده، مكنتش تقع إلا واقفة.

بعد طلاقها من جوزها التاني سيد الصفتي، اتجوزت واحد اسمه توفيق النحاس، كان شهبندر التجار، اتحصلت منه على ثروة صغيرة، لكن في النهاية أهله خيروها بين الاعتزال والطلاق، فـ اتطلقت منه طبعًا.

بعد توفيق اتجوزها واحد من أعيان الصعيد، ودفع لها مهر ستين فدان أرض زراعية، وقعد معاها شوية، وبعدين طلقها، فـ اتجوزت خامس جوازة، اللي كان جوزها بـ يحبها، ويبعزق الفلوس تحت رجليها، وكتب اسمها على حنطورها بـ حروف دهب، دهب من أبو جد.

يوم ما رجع سعد زغلول من منفاه كانت بمبة كشر أسطى أسطوات مصر في كار العوالم، ويوميها فرشت شارع الموسكي كله سجاد من أفخر الأنواع.

فضلت ترقص لـ حد ما ماتت وهي عندها سبعين سنة، بس لـ الأسف، لما ماتت كانت السيما يدوب لسه فـ أوائلها، فـ ظهرت في فيلم صامت ولا حاجة، وما شفنهاش.

تفتكر واحدة زي دي، رقصها كان عامل ازاي؟

محمد البيلي

قوم يا مصري

محمد بدوي البيلي، سنة ١٩١٩ كان طالب في مدرسة الحقوق، وبـ يكتب مقالات في جرنان الأهرام، فـ جه مرة كتب مقال عن ضرورة تأسيس بنك وطني يجمع مدخرات المصريين، ويخلي استثماراتهم جوه البلد.

وقتها كانت الاستثمارات المصرية بـ شكل رئيسي بـ تصب في البنك الأهلي، أو بنك كريدي فونسيه، أو غيرهم من البنوك اللي بـ تصب بره بـ شكل مباشر، فـ بتدير الفلوس دي في استثمارات هناك، وده طبعًا بـ ينمي الاقتصاد في أوروبا، ويضعفها في مصر.

من مقال البيلي، حسب يونان لبيب رزق، انفجرت حملة صحفية واسعة لـ إنشاء البنك، ومصر وقتها كانت بـ تعيش أجواء ثورة ١٩١٩، والرغبة في الاستقلال عن بريطانيا، بـ التالي، كان أي حاجة تصب في أي استقلال كانت بـ تاكل.

تخيل إننا تحت الاحتلالات المختلفة من سقوط آخر أسرة فرعونية،

وآديك بـ تشوف الاستقلال بـ يقرب منك، فـ كانت الكلمة نفسها ليها سحر، لـ درجة ربطها بـ الحياة نفسها: «الاستقلال التام أو الموت الزؤام»، الزؤام = السريع، وكان فيه حمى وسبق، وكانت كلمة «مصر» بـ تهز فعلاً، دي الفترة اللي اتغنى فيها بلادي بلادي، وأنا المصري كريم العنصرين، وقوم يا مصري مصر دايمًا بـ تناديك، زمن.

المهم، استجابة لـ الحملة الصحفية اللي بدأها البيلي، بدأ يحصل تشاورات ومكالمات بين أصحاب رؤوس الأموال المصرية، ورجال الاقتصاد اللي هـ ييجي ذكرهم بعدين، وكان على راس السلطة في مصر السلطان فؤاد الأول (اللي هـ يبقى الملك فؤاد)، وهو كمان كان عايز الاستقلال، علشان بدال ما يبقى حاكم بلد محتل، يبقى حاكم بلد من بابها.

علشان كده في ٥ أبريل ١٩٢٠، صدر المرسوم السلطاني من سلطان مصر أحمد فؤاد، بـ تأسيس شركة مساهمة تدعي «بنك مصر»، (أيوه، هو بنك مصر الشهير) وكان البنك من مساهمين كلهم مصريين هم: أحمد مدحت يكن باشا، يوسف أصلان قطاوي باشا (من كبار الأعيان اليهود المصريين)، ومحمد طلعت حرب بيك (اللي اتنسب له البنك وارتبط بـ اسمه)، وعبد العظيم المصري بيك، وعبد الحميد السيوفي بيك، والطبيب فؤاد سلطان بيك، وإسكندر مسيحة أفندي، وعباس بسيوني الخطيب أفندي.

ويلاحظ في تشكيل المؤسسين الأوائل إن فيهم أفندية وبهوات وباشوات، مسلمين ومسيحيين ويهود، طبيب واقتصادي وتاجر، وعلى كل لون يا باتيستا، وتوليفة من مصريين مختلفي المشارب والاتجاهات.

ارتباط البنك بـ اسم طلعت حرب، راجع لـ إن الفكرة كانت عنده من قبلها، وسنة ١٩٠٨ قرر طلعت حرب إنشاء شركة مالية سماها «شركة التعاون المالي»، كانت على قدها في الأعمال المصرفية. وأهم نشاطات الشركة

كان هو تقديمها قروض كتير لـ أصحاب الأعمال الصغيرة في القاهرة، وأوكل طلعت حرب إلى صديقه د. فؤاد سلطان مهمة إدارتها، وتفرغ لما هو أكبر من هذه الشركة، وهو حملة الدعوة إلى تأسيس شركة مساهمة كبرى لـ بنك مصري، وده تلاقى مع حملة البيلي.

وقتها كان ممكن الاحتلال الإنجليزي يتصدى لـ الموضوع، ويمنع تأسيس البنك، أو يمارس ضغوط، أو أي اختراع، بس هم ما عملوش كده، أولًا علشان ما يستفزوش المصريين الثائرين ويفتحوا على نفسهم جبهات تانية، لكن العامل الأهم كان تصورهم إن خبرات المصريين الاقتصادية ضعيفة، وقدرتهم على تجميع الأموال أضعف، وإن المشروع ده كبيره سنة وهـ يفلس، واللي يحطوا فيه فلوسهم هـ يخسروها (قريب نحتفل بـ مئويته).

في ١٠ مايو ١٩٢٠ ألقى طلعت حرب خطبة عصماء في دار الأوبرا المصرية بـ مناسبة بدء أعمال بنك مصر، وكان أول مقر له في شارع الشيخ أبو السباع، وكتب المصريين ملحمة في العمل الجماعي، حاجة من النوادر كده، اللي مش بـ تتكرر كتير في التاريخ لـ الأسف.

جروبي

مصر تانية وعصر تاني

مرة صلاح عبد الصبور قال لـ أنور المعداوي: أنا عايز أقابل علي محمود طه، هو بـ يقعد في قهوة إيه؟ المعداوي رد على عبد الصبور: ده ما بـ يقعدش فـ قهاوي، لو عايزه، روح له جروبي.

صلاح بـ يحكي إنه راح جروبي، ولقاه فعلًا قاعد، بس لـ سبب ما، مشي من غير ما يقدر يكلمه، «السبب الما» ده، أقدر أفسره بـ إنه رهبة المكان، جروبي غير القهوة، وناس جروبي غير ناس القهوة خالص، جروبي كان ملامح عصر ومصر وطبقة ما عدّتش على كتير مننا، ولا إحنا عدينا عليها.

القوام الأساسي لـ زوار جروبي كان الطبقة الوسطى العليا، أبر ميدل كلاس، اللي هم الموظفين الكبار، الفنانين، الأطباء، المحامين، المهندسين، المدرسين، لـ إن أي واحد من دول لـ حد السبعينات كانوا هم دول برنسات مصر، واللي معاهم الفلوس، وكانت مصر متجهة بـ قوة لـ الذوق الأوروبي.

وسط البلد عمومًا كانت نسخة من شوارع فرنسا، ولما تشوف مظاهرات الطلبة في فرنسا سنة ١٩٦٨، مستحيل تفرقها من مظاهرات ٢٥ يناير، لـ إن شكل العمارات متطابق، والحركة الليبرالية في مصر لـ حد الأربعينات كانت بـ تسعى إن مصر تدخل الحداثة، قبل ما يحصل لها اللي حصل، والله يجازي اللي كان السبب.

اللي أسسه هو چاكومو جروپي، اتولد ١٨٦٣ ومات ١٩٤٧، كان حلواني سويسري، هاجر لـ مصر سنه ١٨٨٤، ونجح مع ابنه أكيللي فى تأسيس شركة باسم عيلته «جروبي»، وكان أول واحد يدخل الچيلاتي والآيس كريم مصر.

ليه فروع منتشرة فى إسكندرية من سنة ١٨٩٠، وبعدين عمل فروع في القاهرة سنة ١٩٠٩ و١٩٢٥. وليه فرع في ميدان طلعت حرب (سليمان باشا زمان)، وفرع في شارع عدلي. ابنه أكيللي أسس محل الأمريكين، كبديل لـ محل جروبي، علشان يبقى لـ الأفندية والموظفين والطلبة اللى ماكنتش إمكانياتهم المالية بـ تساعدهم على دخول جروپي، وشرا حاجات منه، واللي كان محل العيلة المالكة لـ الحلويات، والمحل اللي الباشوات واللي معاهم فلوس بـ يشتروا منه.

«شيزار» و«بيانكي» كانوا آخر ورثة المحل عن جدهم، ومؤسسه «جروبي»، باعوا المحل لـ الشركة العربية لـ الأغذية، عبد العزيز لقمة، سنه ١٩٨١. لـ حد ما بقى زي ما إنت شايفه كده.

جروبي مكنش مجرد مطعم وقهوة على الطراز الفرنسي، وإنما تحول لـ مشروع ثقافي يؤسس لـ ذوق وتقاليد جديدة، وناس كتيرة اعتبروه مركز من مراكز الحداثة، وفي جروبي كان أحمد رمزي، قبل ما يبقى أحمد رمزي، بـ يقعد ياخد إفطاره المعتاد، اللي غالبًا بـ يكون كرواسون بالجبنة الفرنساي وشاي إيرل جراي، اللي أول ما ريحته تطلع تعرف إن رمزي جه، وكان

دائمًا معه أصحاب الدراسة، وفي يوم من الأيام زارهم في قعدة الصبحية المعتادة مخرج شاب اسمه يوسف شاهين، بعدين انضم لـ الشلة الصباحية شاب تاني اسمه عمر الشريف، فقدمهم يوسف شاهين في فيلم «صراع في الوادي».

راقية إبراهيم كانت بـ تروح الساعة أربعة العصر، وأحمد مظهر بـ يعاكس محمد عبد الوهاب في قهوته. ومنها طلع المخرج أحمد يحيى اللي كان بـ يقعد هناك من وهو عنده عشر سنين.

مش بس نجوم المجتمع، لو عملت سيرش على جروبي في جوجل، هـ تلاقيه عنصر مشترك في عشرات الحوادث، منها الاجتماعي، ومنها السياسي، وحتى في عالم الجاسوسية هـ تلاقيه كان مكان مهم لـ التقاء الناس مع الناس اللي بـ تجندهم، حتى رئيس إسرائيل لما كان في مصر كان بـ ياكل في جروبي.

محاكمة طه حسين

الشعر الجاهلي وأشياء أخرى

عم خيري شلبي الله يرحمه لقى مرة كتاب، وصفه بـ إنه «**كتيب صغير جدًا لا يزيد عن ملزمة واحدة، أشبه بإمساكية رمضان، مطبوعة على ورق أصفر قديم، ومكتوب على غلافه: قرار النيابة في الشعر الجاهلي، بإمضاء محمد نور** (النائب العام الذي حقق مع طه حسين)».

الكتاب الصغير ده، ومن خلال عم شلبي، عرفنا تفاصيل مهمة عن محاكمة طه حسين، واللي منها أنا شخصيًا بـ أفهم إن الدودة في أصل الشجرة، والألاعيب هي هي، والحرية مجرد كلمة يدوب تتقال.

بداية، كتاب «في الشعر الجاهلي»، هو صحيح عن الشعر الجاهلي، لكن أهميته تعدي ده بـ كتير، ومسيرنا نناقشها في المكتبة. خلينا دلوقتي في تفاصيل محاكمة طه حسين، اللي بدأت فصولها في ٣٠ مايو ١٩٢٦، على إيد واحد اسمه خليل حسنين.

خليل كان طالب في الأزهر (القسم العالي)، واتقدم بـ بلاغ لـ النائب

العام العمومي، محمد بيه نور، بـ يتهم فيه طه حسين، بـ صفته أستاذ في الجامعة المصرية إنه بـ يطعن صراحة في القرآن. يا سنة سوخة يا ولاد!

ما يفوتش أسبوع، وراح شيخ الأزهر شخصيًا، في ٥ يونيه ١٩٢٦، رفع لـ الجهات المختصة تقرير من «علماء الأزهر» (الاسم ده مش غريب عليا)، التقرير بـ يتهم طه حسين إنه بـ يفتري على النبي، وبـ يكذّب القرآن، ويبدو إنهم حبوا يحطوا التاتش بتاعهم، فـ أضافوا إنه طه بـ يخل بـ النظم العامة، ويدعو الناس لـ الفوضى، يا نهار مطين.

نعدي كام شهر، ويظهر البرلمان في الصورة، ويتقدم عضو مجلس النواب عبد الحميد البنان في ١٤ سبتمبر بـ بلاغ تاني لـ النائب العام، يتهم طه حسين بـ نشر وتوزيع كتاب يتعدى فيه على الدين الإسلامي، الدين كله بقى، كله يا طه.

واضح إن محمد بيه نور ده كان راجل مستنير ومتعاطف مع د. طه حسين، لـ إنه سجل في كتابه الصغير، اللي لقاه عم خيري، إن البلاغات دي كان بـ يقف وراها شخص واحد، وإنه لولا الملامة يا هوى لولا الملامة، كانوا رفعوا دعوى حسبة، وطالبوا بـ تطليق سوزان مرات طه حسين.

عارف حضرتك إن حكاية التطليق دي سببها إن المرأة المسلمة لا يجوز لها إنها تتجوز واحد مش مسلم، فـ دعوى التطليق بـ تحصل علشان ياخدوا حكم رسمي بـ إنه كافر مش مسلم، بس في حالة دكتور طه، سوزان أصلًا مكنتش مسلمة. (إيموشن سمايل)

حدّد محمد بيه نور المواضع اللي بـ تستشهد بيها البلاغات على إن طه كافر وبـ يطعن في الإسلام بـ إنها ٤ مواضع، أهمها إنه بـ يقول إنه إذا كانت التوراة أو حتى القرآن بـ يتكلموا عن وجود إبراهيم وإسماعيل، فـ ده مش

معناه وجودهم في التاريخ حقيقة:

«للتوراة أن تحدثنا عن إبراهيم وإسماعيل،

وللقرآن أن يحدثنا عنهما أيضًا،

ولكن ورود هذين الاسمين في التوراة والقرآن

لا يكفي لإثبات وجودهما التاريخي».

هـ نناقش الأربع مواضع في المكتبة، المهم دلوقتي إن نور بيه كتب في قرار النائب العام:

«إن العبارات التي يقول فيها المبلغون أن طه حسين طعن فيها على الدين الإسلامي، إنما جاءت في سياق الكلام متعلقة بالغرض الذي ألّف من أجله الكتاب، ومن أجل الفصل في هذه الشكوى لا يجوز انتزاع تلك العبارات من موضوعها والنظر إليها منفصلة، ولكن الواجب تقديرها ومناقشتها في السياق الذي وردت فيه.

وفي رأي القانون يشير إلى المادة ١٢ من الأمر الملكي رقم ٤٢ لسنة ٢٣ التي نصت على وضع نظام دستوري للدولة قائم على أن حرية الرأي مكفولة، ولكل إنسان الإعراب عن فكره بالقول أو الكتابة أو التصوير أو بغير ذلك في حدود القانون، ثم المادة ١٤٩ منه نصت على أن الإسلام دين الدولة، فلكل إنسان حرية الاعتقاد بغير قيد ولا شرط، وحرية الرأي موجودة في القانون.»

وفي النهاية يصدر محمد نور القرار وحيثياته في مارس ١٩٢٧:

«ومما تقدم يتضح أن غرض المؤلف لم يكن مجرد الطعن والتعدي على الدين، بل إن العبارات الماسة بالدين التي أوردها في بعض المواضع من كتابه

إنما قد أوردها في سبيل البحث العلمي مع اعتقاده أن بحثه يقتضيها، وحيث إنه من ذلك يكون القصد الجنائي غير متوفر، فلذلك تُحفظ الأوراق إداريًّا»

وقد رأى النائب العام أن توثيق حيثيات الحكم في كتاب، يحسمها لصالح الديمقراطية.

لكن عارف حضرتك بعد كده إيه اللي حصل؟

بـ صفة ودية كده خلوا طه حسين يسحب الكتاب، ويصدر طبعة جديدة منه بعد تغيير الاسم، خلاه «في الأدب الجاهلي»، وحذف ما يلزم، يبقى ما اتحسمتش يا برنس لـ صالح الديمقراطية.

بس، ومن ساعتها.

ضريح سعد

نقل الرفات

بعد محطة التحرير في مترو الأنفاق، فيه محطة سعد زغلول، والمحطة مش اسمها كده لـ مجرد تخليد ذكرى سعد على غرار محطة جمال عبد الناصر، لأ، المنطقة دي أصلًا كان فيها بيت سعد زغلول اللي كان اسمه «بيت الأمة».

حتى أسماء الشوارع هناك هـ تلاقيها كلها مرتبطة بـ سعد زغلول وبـ أسماء وفدية عريقة، أنا كل ما أروح المنطقة دي أحس إني اتنقلت لـ عشرينات وتلاتينات القرن اللي فات.

هناك فيه شارع بين شارع سعد زغلول، وشاعر صفية زغلول اسمه شارع ضريح سعد، اللي بـ ينتهي عند شارع القصر العيني، أما بدايته فـ هي من «ضريح سعد». المكان المدفون فيه رفات سعد زغلول، بس مش هو اللي اندفن فيه سعد ساعة وفاته، هو اتنقل له بعد تسع سنين.

لما اتوفى سعد اندفن في الإمام الشافعي، ووقتها كان رئيس حكومة ائتلافية بـ زعامة حزب الوفد، وساعتها الحكومة خدت قرار بـ بناء ضريح كبير

جنب بيت الأمة علشان يتنقل له الرفات أول ما يكتمل، وكمان يتعمل له تمثالين، واحد في القاهرة والتاني في إسكندرية، واتعمل اكتتاب لـ المشروع ده.

استمرت حملة الاكتتاب لـ حد ما وصلت عشرين ألف جنيه، وفعلًا اتبنى الضريح، بس لما اكتمل كانت الحكومة بتاعة إسماعيل صدقي جت، ودي كانت حكومة مضادة لـ الوفد وتوجهاته، فـ فضلت تتباطأ في تنفيذ المشروع بـ حجج مختلفة.

مش بس كده، ده كمان إسماعيل صدقي قرر ينقل رفات فراعنة قدام لـ الضريح على أساس تبقى مقبرة لـ ملوك المصريين، وما تبقاش خاصة بـ سعد باشا.

بعد شوية هـ تيجي حكومة وفدية برئاسة مصطفى النحاس باشا، فـ تقرر إن أول حاجة تعملها هي نقل الرفات من الإمام الشافعي لـ ضريح سعد، وعلشان ما تجيش بعدها حكومة عندها خصومة مع الوفد تلعب بـ ديلها، قرروا سد أي مكان ينفع يبقى مقبرة بـ الأسمنت المسلح، وما يخلوش غير مكانين، واحد لـ رفات سعد، والتاني لـ صفية زغلول، أم المصريين، بعد عمر طويل، وكان الاقتراح ده من الوفدي الشهير عثمان محرم.

في التسع سنين دول، كانت فيه حملات ضد عملية النقل، وتهديدات بـ سرقة الجثمان من مقابر الإمام لـ منع العملية دي، ولما جت حكومة الوفد، عملت عملية النقل بـ قانون رسمي صدّق عليه البرلمان.

قبلها بـ يوم، النحاس باشا خد محمود فهمي النقراشي باشا، وراحوا المقبرة يتأكدوا إن الجثمان مكانه، وإنه محدش سرقه أو عبث بيه، ولما تأكدوا جهّزوا لـ النقل تاني يوم.

يوم ١٩ يونيه ١٩٣٦ تم النقل في مشهد وصفه النحاس باشا في مذكراته كده:

«نُظّم احتفال ضم الهيئات والطبقات، وخُصّص لكل طائفة مكان، وتقدمت الموكب كوكبة من الجنود، ثم نعش الزعيم، وسرنا خلفه ومعنا كبير أمناء القصر الملكي، نائبًا عن مجلس الوصاية، وعدد كبير من عظماء مصر وممثلي الأحزاب والهيئات والهيئة الوفدية، ولجان الوفد والأهالي.

وقد تحرك الموكب من الإمام الشافعي مخترقًا الشوارع الهامة بالعاصمة، حتى وصل إلى الضريح، ثم أُطلقت المدافع تحية وتوديعًا، ووري سعد ضريحه الجديد بين مظاهر الإجلال من الشعب الوفي لزعيمه.

بعد انتهاء المراسم قصدتُ (الكلام لسه لـ النحاس) ومعي إخواني الوزراء وأعضاء الوفد إلى حيث كانت السيدة الجليلة أم المصريين تجلس في حجرة ملحقة بالضريح، فقدمنا لها التعازي وأعلنا أن هذا يوم من أيام التاريخ».

اللي ما قالوش النحاس في مذكراته إنه ساعتها قال خطبة بليغة عصماء، أبكت أم المصريين والمصريين كلهم، وكان فعلًا يوم خلّده التاريخ.

الشيخ بخيت

المعركة من زمان

سنة ١٩٥٥، كان فيه شيخ أزهري، اسمه الشيخ عبد الحميد بخيت، وكنا ساعتها في رمضان، الشيخ بخيت كتب مقال، وبعته لـ جريدة الجمهورية، فـ الجمهورية رفضت تنشره، راح باعته لـ الأخبار، الأخبار نشرته، والدنيا ولعت ما هديتش.

إيه بقى المقال؟

أبدًا، الراجل كتب إن صيام رمضان مش فريضة، واللي ما يقدرش يصوم ما يصومش، بس يطعم مسكين، ولو ما يقدرش يصوم، وما عندوش يطعم مسكين، يبقى براءة، وهو مش مكلف بـ الصوم.

إحنا هنا ما يعنيناش أوي هو استند لـ إيه بـ الظبط، ده مكانه سياق تاني، وإحنا مش عايزين نقول هو عنده حق ولا ما عندوش، عايزين بس نتتبع الحدوتة اللي حصلت وقتها.

أولكشي كده، الأزهر طلع بيان شديد اللهجة هجوم على الشيخ وعلى

رأيه، وقال إنه مش بـ يستند لـ أي دليل أو شبه دليل (مع إن الراجل مستند لـ حاجات من القرآن) وطبعًا البيان ما ناقشي الموضوع من أساسه، بـ اعتباره غلط بداهة.

لـ حد هنا عادي، الأزهر بـ يشوف شغله، وفي النهاية الراجل اتقدم بـ اعتباره شيخ في الأزهر، فـ هم عايزين يقولوا إن الرأي ده لا يمثلنا، تمام، لكن الخطوة التالية كانت التصعيد في اتجاه عقاب الراجل، وراحوا محولينه لـ التحقيق.

طلعت مقالات ترد على بيان الأزهر، أشهرها مقال لـ طه حسين طبعًا، بـ يدافع عن الراجل، صحيح طه حسين ما أيدش الراجل في رأيه، لكنه دافع عن حقه حتى في الخطأ، يعني الكلام عن حرية الاجتهاد، طه كان بـ يحاول يزق المعركة في اتجاه تاني، علشان ما تفضلش محصورة في إن الصيام فريضة ولا لأ.

أكيد ظهرت مقالات ترد على طه حسين، ومقالات ترد على الردود، والعركة اشتغلت في الصحافة: هل من حق الأزهر يعاقب المواطن ده، ولا يكتفي بـ البيان وخلاص. بس المقالات كانت ماشية في اتجاه، وعلاقة بخيت بـ الأزهر ماشية في اتجاه تاني خالص.

هم حولوه لـ التحقيق، وهو حس إن الموضوع كبر، وهو مكنش متخيل إن الدنيا هـ تتكركب معاه بـ الشكل ده، فـ بقى همه يخرج من المزنق، لـ إن الموضوع دخل في أكل العيش، ما بقاش مجرد معركة فكرية، فـ تفتق ذهنه عن حاجة ظريفة.

قرر الشيخ بخيت إنه يبعت بيان لـ جرنان الجمهورية، يقول فيه إن فيه أخطاء مطبعية في المقال خلته يطلع بـ الشكل ده، وإن ده مش رأيه الحقيقي،

بعت البيان فعلًا، بس محاميه لما عرف، قال له: إنت بـ تعمل إيه يا شيخ، كده فيه ضرر أكتر، لـ إن الصياغة مكنتش تسمح بـ حكاية الخطأ المطبعي ده، فـ اتصل الشيخ بـ الجمهورية، وسحب البيان.

من جهة تانية حصلت اتصالات ووساطات بين الشيخ عبد الحميد وبعض المسئولين، فـ انتهوا إلى إنه لازم يصدر بيان واضح لا لبس فيه إنه غلطان، ومكنش يصح يعمل كده، فـ عمل الشيخ زي ما قالوا له، بس على مين، برضه خضع لـ التحقيق.

البيان اللي طلعه خلى لجنة التحقيق تخفض العقوبة بعد ما كانوا ناويين يفصلوه خالص، ويجردوه من شهادة العالمية اللي خدها من الأزهر، وهكذا، قرروا بس إنهم يمنعوه من التدريس، وينقلوه لـ وظايف كتابية أدنى، يعني برضه تشريد بس على خفيف.

ما انتهتش القصة هنا، لـ إن الشيخ بخيت رفع قضية قدام القضاء الإداري ضد الحكم الصادر بـ حقه، وطلب يرجع وظيفته بـ اعتباره تاب وأناب، ما عادش يعملها تاني، فـ رجعته المحكمة بعد فترة طويلة، كان اتربى فيها، وحرم يجتهد تاني.

بس يا سيدي، ومن ساعتها.

مارجريت فهمي

جايزة الدولة التشجيعية في القتل

هدى شعراوي كان ليها خالة اسمها منيرة، متجوزة واحد باشا كبير اسمه كامل بيه فهمي، المليونير المعروف، لما نتكلم عن مليونير في العشرينات، فـ إحنا بـ نتكلم عن مالتي ملياردير النهارده، الجنيه تقدر تضربه في عشر تلاف وإنت مستريح.

كامل بيه كان وريثه ابنه الحيلة اللي عنده ٢٢ سنة، علي بيه فهمي، المولود سنة ١٩٠٠، يعني إحنا دلوقتي في سنة ١٩٢٢، علي ورث عن أبوه الملايين، يعني مثلًا ثروته من الأراضي بس كانت فوق الخمستلاف فدان.

شاب زي ده، تحت إيده الثروات دي كلها، يعمل بيها إيه؟ يضيعها طبعًا على الخمرة والنسوان والسهرات، ومن دي لـ دي، ومن البار ده لـ البار ده مفيش هدف غير يقضي الوقت في الانبساط.

شاب في الظروف دي إيه اللي بـ يحصل له؟ مظبوط، بـ يقع في إيد ست مجربة خبرة، أكبر منه بـ عشر سنين على الأقل، عارفة توقع الرجالة على ملا

بوزها ازاي، ودي كانت مدام مارجريت ميلر الفرنسية، اللي قابلها في بار كانت بـ تغني فيه، ووقع في دباديبها.

مارجريت كانت عاشت كل التجارب، أبوها راجل سواق على باب الله، وأخوها اتقتل بـ سببها، وهي عملت كل حاجة، راحت دير، طلعت من الدير، صاحبت رجالة كتير، خلفت من واحد منهم طفلة غير شرعية، اتجوزت واحد غني، اطلقت، مفيش حاجة ما عدتش عليها، فـ عرفت تسحر صاحبنا، واتجوزها.

علي ومارجريت اتجوزوا في فرنسا، ١٦ ديسمبر ١٩٢٢، وأشهرت إسلامها، وسماها منيرة على اسم أمه. بقى اسمها «منيرة فهمي».

جواز بـ المنظر ده مصيره إيه؟ طبعًا عدت اللهفة، والشوق والحنين والذي منه، وبدأت الخلافات، لـ إنه من الطبيعي ترجع ريما لـ عادتها القديمة، وحتى لو ما رجعتش، هـ يبقى فيه شك إنها رجعت.

أبسطهالك..

هو عادته الجري والصرمحة ورا النسوان، تمام، هو رجع لـ كده، وأكتر وألعن، الأهرام قالت إنه صرف مليون جنيه في سنة واحدة على النسوان والخمرة والعربيات والقصور (اشترى لـ منيرة لـ وحدها قصر في الزمالك)، واللطائف المصورة قالت إنه اشتراها بـ ٢٠٠ ألف فرانك فرنسي مجوهرات، سفه سفه يعني.

طيب عادتها إنها تعرف الرجالة، هل رجعت لـ عادتها؟

الحكاية دي مش مؤكدة، والأغلب إنها ما خانتوش، بس هو، لـ إن رجع لـ عادته، كان متصور إنها هي كمان رجعت لـ عادتها، يعمل إيه؟

يزعق لها، يضربها، يهينها بـ كافة أنواع الإهانات، وكل ده قدام الخدم، بعدين يرجع يعتذر لها، ويهينها ويعتذر لها، ويهينها ويعتذر لها، اقترحت عليه يروحوا أوروبا يغيروا جو، كانت متخيلة إنه في أوروبا هـ يسمح لها تشرب ترقص تسهر، ما أمكنش، واستمر مسلسل الإهانة والاعتذار.

من باريس طلعوا على لندن، ونزلوا في فندق سافوي، راحوا مسرح يشوفوا «الأرملة الطروب»، لما رجعوا طلبت منه تروح باريس تشوف بنتها غير الشرعية، وكـ إنها ضغطت على الحتة الذكورية اللي عنده، انفجر فيها، قتلته بـ ٣ رصاصات.

أهو إحنا بـ نحكي الحكاية دي علشان محاكمتها، لـ إنها راحت لـ محامي عقر اسمه «مارشال هول»، اللي واخد لقب سير، وطلب منها ترصد ١٠ آلاف جنيه لـ القضية: ٣ آلاف له، ألفين ونص لـ مساعديه، والباقي كله حملة دعاية ضخمة، ورشاوي لـ صحفيين.

السير هول بنى دفاعه على تحويل الموضوع لـ قضية رأي عام، قائمة على فكرة الذكر الشرقي المتخلف اللي ما يعرفش أصول التحضر، اللي بـ يضرب مراته وبـ يخونها، واللي العادي بتاعه إنه يتجوز أربعة.

عقبال ما المحكمة حكمت، كانت مدام فهمي بقت هي الضحية، والمجني عليها، والمرحوم بقى هو الجاني، والمحكمة اديتها براءة، والحمد لله إنها ما قررتش تديها جايزة الدولة التشجيعية.

أيها الشرق..

كم من الجرائم ترتكب بـ اسم تخلفك.

ملحوظة: حكاية مدام فهمي عملها صلاح عيسى كتاب، وكتب عنها ياسر ثابت في كتاب «جرائم العاطفة»، والكتابين أكتر من رائعين، لـ ذا لزم التنويه.

المجلس الأعلى لـ الاغتيالات

والله بـ جد

فعلًا، صدقني مش بـ أكذب عليك، ولا فيه هنا إيفيه أو تعبير مجازي، كان فيه في مصر حاجة اسمها «المجلس الأعلى لـ الاغتيالات»، طبعًا مكنتش رسمية، بس كانت شغالة، وليها حكاية.

بعد ثورة ١٩١٩، بدأ «الكفاح الوطني» ياخد طابع العنف في التعامل مع الاحتلال الإنجليزي، والمتعاونين معاه، واجتمع محمود فهمي النقراشي، وأحمد ماهر، وشفيق منصور، حسن كامل الشيشيني، عبد الحليم البيلي، وقرروا تكوين مجلس أعلى سري يصدر أحكام بـ الإعدام على «أعداء الوطن» من وجهة نظرهم.

تحت منهم ييجي جهاز تنفيذي مسئول عن «الشغل» وترتيب عمليات الاغتيال، كان بـ يتكون من: عبد الفتاح عنايت (طالب في كلية الحقوق) وأخوه عبد الحميد (طالب بـ مدرسة المعلمين العليا) ومحمود راشد (مهندس)، وإبراهيم موسى (زعيم عمال العنابر) ومحمد فهمي علي النجار (زعيم عمال الترسانة).

كل واحد من دول كان تحت إيده مجموعة ما تعرفش حاجة عن المستوى ولا المستويات اللي تحت، تنظيم عنقودي يعني.

المجموعة دي نفذت اغتيال بطرس باشا غالي رئيس النظار (الحكومة)، وحاولوا يغتالوا عباس حلمي الثاني الخديوي المعزول، خلال زيارته للأستانة، وحاولوا مرتين اغتيال السلطان حسين كامل، واغتالوا فعلًا المستر براون المراقب العام لـ وزارة المعارف، والمستر كييف وكيل حكمدار القاهرة. ثم كان الزغلول الكبير اغتيال سردار الجيش المصري، وحاكم السودان، السير لي ستاك في ١٩ نوفمبر ١٩٢٤.

اللي اغتالوا السير لي ستاك اتكشفوا، قول لي ازاي؟

أقول لك ازاي..

الخيانة طبعًا، هو فيه غيرها؟

كان فيه واحد اسمه الهلباوي، محمد نجيب الهلباوي، وده غير إبراهيم الهلباوي بتاع دنشواي، ومش قريبه، الهلباوي كان واحد من الشباب المتحمسين، اللي قرروا الدخول في لعبة الاغتيالات دي، فـ راح مع واحد اسمه شمس الدين علي، حاولوا اغتيال السلطان حسين، فـ اتقفش، واتحكم عليه بـ الإعدام، وبعدين اتخفف لـ المؤبد، ثم جه سعد زغلول رئيس وزرا فـ أطلق سراح المساجين السياسيين.

خرج الهلباوي من السجن كافر بـ السياسة والوطن والكل كليلة، عرضوا عليه وظيفة بخمستاشر جنيه في الشهر، (اللي هم تلاتين ألف جنيه على الأقل دلوقتي) فـ رفض، وقرر يروح أوروبا يكمل تعلميه، لو كان فيه فيسبوك وقتها، أكيد الهلباوي كان هـ يبقى واحد من جماعة «اللهم أخرجنا من القرية الظالم أهلها».

بس ازاي يسافر وهو حتة بتاع ما حيلتوش اللضا؟

راح عرض نفسه على المخابرات البريطانية، على أساس يستفيدوا من المعلومات اللي عنده في كشف خليات الاغتيال المنتشرة في البلاد. وادوله اسم كودي هو مستر H.

لما حصلت حادثة السردار، استعانت المخابرات بـ الهلباوي، وفعلًا قبضوا على كل المشاركين في العملية: عبد الفتاح عنايت (٢٢ سنة)، عبد الحميد عنايت (١٩ سنة)، إبراهيم موسى (٣١ سنة)، محمود راشد (٣٣ سنة)، إبراهيم محمد (٢٢ سنة)، راغب حسن (٢٣ سنة)، شفيق أفندي منصور (٣٧ سنة)، محمود أفندي إسماعيل (موظف بالأوقاف)، محمود صالح محمود (سواق التاكسي اللي نقل الشباب).

كل المجموعة خدت إعدام ما عدا اتنين، عبد الفتاح عنايت اللي كتب مذكراته، واداها لـ مصطفى أمين، خد مؤبد، والسواق خد سنتين واختفى بعدها.

كانت مكافأة الهلباوي مبلغ عشر آلاف جنيه (بـ نتكلم في عشرين مليون بـ أسعار دلوقتي) اتحطوا بـ اسمه في البنك الأهلي، خدهم وطلع بيهم على أوروبا، واختفى هناك.

عاش خاين ومات مبسوط.

تفاصيل أكتر عن الحكايات دي ممكن تلاقيها في كتب:

مصطفى أمين ـ الكتاب الممنوع

جمال بدوي ـ المصور شاهد عيان على الحياة المصرية

سعيد الشحات ـ ذات يوم

الدمرداش

الراجل مش المستشفى

اللي بني مستشفى الدمرداش واحد اسمه الدمرداش، بس مكنش أي واحد.

عبد الرحيم الدمرداش، الراجل ده من أغرب الشخصيات اللي ممكن تقرا عنها، لـ إنه جمع بين تلات حاجات صعب جدًا تجتمع في إنسان واحد، بس أهي حصلت.

أولًا، أبوه كان راجل متصوف، وشيخ طريقة، هي الطريقة الدمرداشية، ولما اتوفى أبوه كان عنده ٢٤ سنة، فـ النظام في الطرق دي كان توريثي، بـ معنى إنه ابن شيخ الطريقة هو اللي لازم يتولى مكان أبوه، وقد كان.

لـ حد كده حاجة عادية مفيهاش أي حاجة، ابن شيخ الطريقة بقى شيخ طريقة عادي، هـ يقوم بـ دوره، ويقرا الورد كل يوم، ويعمل الحضرات والذكر والموالد، كل اللي بالك فيه، بس اللي مش عادي إن نفس ذات الراجل يبقى واحد من رجال الأعمال المعدودين في مصر، وإنه يفضل

يعمل فلوس لـ حد ما ثروته توصل نص مليون جنيه على الأقل، أواخر العشرينات، يعني حضرتك بـ تتكلم في مليارات بـ حساب التضخم.

المزج بين الطريقة الصوفية والبيزنيس، خلى رجال أعمال ومسئولين كبار يسلكوا في الطريقة الدمرداشية، ويبقى لها صيت عالي في مصر طول فترة حياته، هو تجاوز الخمسين سنة وهو شيخ الطريقة.

الحاجة التالتة إنه مع ده وده كان مهتم بـ الأدب، وقارئ جيد، لـ درجة إن بنته «قوت القلوب هانم الدمرداشية» كانت كاتبة معروفة، وهو كان بـ يشجعها على الكتابة والنشر، كمان كان مهتم بـ الفن وابن نكتة، ده غير معرفة موسوعية في التاريخ والجغرافيا.

سنة ١٩٢٨، لما قرب على التمانين، وحس إنه قرب، قرر يعمل حاجة تفيد البشر إلى أبد الآبدين، فـ ما فكرش يعمل مثلًا جامع، ويسميه مسجد الطريقة الدمرداشية، لأ، قرر يعمل مستشفى ضخمة تحمل اسمه، وكان ساعتها رئيس الوزرا هو النحاس باشا.

راح الدمرداش لـ النحاس، ووضع مشروع المستشفى تحت تصرف الحكومة المصرية، مع وضع شوية شروط، بـ اعتباره هو اللي هـ يصرف:

أولًا، تخصيص ٤٠ ألف جنيه لـ بناء المستشفى، مع الإسراع في عمل المناقصة، على أساس يلحق يشوفها قبل ما يموت، وعلشان شرط السرعة ده، زود التبرع خمس تلاف جنيه كمان.

ثانيًا، تخصيص ستين ألف جنيه كـ وديعة تصرف منها المستشفى على المرضى، على اعتبار إن مبنى المستشفى أقل حاجة في التكلفة، إنما بعد كده فيه تكاليف عالية من رواتب ومستلزمات وخلافه، فـ كان الإنفاق على ده من ريع الستين ألف (ما تنساش التضخم).

ثالثًا، وده الأهم، تقبل المستشفى جميع المرضى أيًا كانت حالتهم، ويتلقوا العلاج في المستشفى مجانًا بـ صورة كاملة، وذلك دون أدنى تمييز بينهم على أي أساس عرقي أو ديني أو طائفي أو عنصري، المسلم زي المسيحي، الأبيض زي الإسود، الصعيدي زي البحراوي.

مرات الشيخ عبد الرحيم بقى، قالت له: وإنت يعني هـ تطلع أجدع مني؟ وراحت باعت كل صيغتها ومجوهراتها، طلعوا ١٦ ألف جنيه، راحت خصصتهم لـ إنشاء معهد للبحوث الطبية والعلمية، وما فضلهاش من مجوهراتها إلا حاجات بسيطة لـ الاستخدام الشخصي، وفعلًا تم إنشاء المعهد.

بدأوا بُنا المستشفى، بس لـ الأسف الشديد ما لحقش الشيخ الدمرداش يشوف حصاد زرعه، واتوفى قبل ما يكتمل بناؤه ويفتتحوه لـ الجمهور.

لما تدور على سبب لـ تصرف الدمرداش بـ الطريقة دي، يبقى لازم نقول إنه كان تلميذ مخلص ونجيب لـ الشيخ محمد عبده، الراجل العظيم اللي كان بـ يحب الحياة ليه ولـ غيره.

بـ جـد بـ جـد

ربنـا يرحـمهم..

ستوديو مصر

المؤسس المجهول

«ستوديو مصر» مكنش مجرد شركة إنتاج سينمائي، ده كان مؤسسة ساهمت في تشكيل اسم «مصر» في العصر الحديث، ويبقالنا بـ الفعل مش بـ الكلام قوة ناعمة، وينعش صناعة قدرت تبقى المصدر التاني لـ الدخل القومي بعد القطن.

مفيش حد ممكن يقلل دور طلعت حرب في تأسيس شركة مصر لـ السينما والتمثيل (اللي هي ستوديو مصر)، الراجل كان اقتصادي عملاق، وحد فاهم إن الثقافة والفنون ما تقلش أهمية عن الغزل والنسيج، لكن الكلام هنا عن واحد تاني ساهم في ده، واسمه مش بـ يتذكر عادة، بـ استثناء كتابات بسيطة، منها كتاب محمد كامل القليوبي عن الرائد الأول لـ السينما المصرية محمد بيومي.

بدأت الحكاية سنة ١٩٢٥، لما بيومي اتقابل مع طلعت حرب، وقدر يقنعه إنه يعمل فيلم تسجيلي، يصور فيه مراحل إنشاء الفرع الجديد لـ «بنك مصر»، أثناء التنفيذ، اتطورت الفكرة وبقت تأسيس قسم خاص لـ السينما يتبع شركة «إعلانات مصر»، وده اللي حصل فعلًا تحت اسم «مصر فيلم».

محمد بيومي كان عنده المعدات اللازمة لـ صناعة الأفلام، ودي وقتها كانت حاجة ضخمة لا تتاح لـ الأفراد العاديين، ولا حتى الشركات الكبرى بـ سهولة، فـ طلعت حرب عرض عليه، أو هو عرض على طلعت حرب، الله أعلم، إنه يشتري المعدات دي، فـ اشتراها طلعت حرب بـ ٢٤٤ جنيه، و٩١ قرش و٥ مليم.

بيومي بـ يقول في مذكراته إن المعدات كانت تساوي وقتها ٤ آلاف جنيه، بس ما قالش ليه باعها بـ أقل من ثُمن تكلفتها، إنما ركز على دور المعدات دي في صناعة نهضة السينما، فـ قال:

«تنازلت عن مصنعي لبنك مصر لحساب شركة مصر للتمثيل والسينما، وإلى هنا انتهت رسالتي وتحققت أمنيتي وأصبحت السينما من الصناعات المصرية المزدهرة، ومبعث الرزق لكثير من المصريين، ودعامة من دعامات الاقتصاد المصري».

المهم، كانت المعدات دي فرصة لـ تأسيس «ستوديو مصر»، واتعين بيومي مدير لـ الشركة في بدايتها، وطلع طلعت باشا وبيومي ومعاهم واحد اسمه السيد البشلاوي في رحلة لـ أوروبا علشان يعرفوا أحدث ما وصل إليه العالم في صناعة السينما، ويستوردوا المعدات الأحدث، ثم رجع طلعت حرب مع البشلاوي وسابوا بيومي هناك.

بيومي قعد سنة في فيينا يدرس السينما والصناعة تحت إشراف أكبر

صناع السينما وقتها، ورجع مصر سنة ١٩٢٦، ما لقاش له مكان في الشركة. ومش بـ يقول لنا إيه السبب في إن طلعت حرب نطره النطرة دي، واداله الرِّجل بـ الشكل ده.

اتهامات محمد بيومي لـ طلعت حرب ما وقفتش عند حدود اتهامه بـ الاستيلاء على فكرته ومشروعه ومعداته، وإنشاء شركة، وطرده من إدارتها دون وجه حق، ده كمان اتهمه بـ سرقة فلوسه.

حسب مذكرات بيومي، وكتابات القليوبي، كان فيه اتفاق شفوي بين طلعت حرب وبيومي على شوية حاجات مالية، منها نسبة ٥٪ من أرباح الشركة، يعني يبقى شريك بـ النسبة دي، وكمان أسس سينما حديقة الأزبكية، وبـ يقول إنه ما سجلش الحاجات دي في عقود وورق رسمي، فـ طلعت حرب أكلها عليه.

النسبة المقررة، اللي هي الـ ٥٪ أنكرها تمامًا، أما دار العرض المذكورة، فـ اداها لـ زكي عكاشة صاحب «جوق عكاشة المسرحية».

استقال بيومي من ستوديو مصر سنة ١٩٢٦، وبقت الحكاية تتحكي من غير ذكر اسمه في أي مرحلة من مراحل التأسيس، لـ حد ما كامل القليوبي نشر كتابه، وجايب فيه وثائق عن كل الكلام ده.

إيه اللي حصل فعلًا؟

الله أعلم..

بس اللي أعرفه، إنه ياما في التاريخ مظاليم.

تبًا

حكاية ترجمة الأفلام

في بدايات صناعة السينما ما كانتش الأفلام بـ تترجم نهائي، فيلم بـ الإنجليزي يتذاع بـ الإنجليزي، فرنساوي فرنساوي، وإنت تعرف اللغة تشوف الفيلم، ما تعرفش تتفرج على الضرب أو المناظر وإنت ساكت، لـ حد ما بقى فيه احتياج لـ ده.

الاحتياج لـ الترجمة ما بدأش مع الأفلام السينمائية الروائية، إنما مع الأفلام المتصورة لـ أغراض علمية، فـ كان من الضروري وضع المصطلحات على الشاشة، والحكاية دي كانت عملية معقدة جدًا، بـ نتكلم في أواخر التلاتينيات أوائل الأربعينيات.

وقتها مكنش الموضوع بـ بساطة أسير الظلام وفارس السايبر، اللي بـ ينزل الترجمة من على أي موقع، ويلزقها ع الفليم وهو قاعد فـ بيتهم بـ الفانلة الحمالات، وبـ يوزع على البشر قيمه وآراؤه الدينية، كانت عملية صعبة جدًا ومكلفة، وكانت التقنية بـ طبيعة الحال مش موجودة في مصر.

كان فيه طالب مصري في كلية الهندسة، اتخرج وراح باريس يحضر الماجستير، فـ وهو ماشي في كليته، لقى إعلان عن دورة لـ تعليم كيفية دمج الترجمة على شريط الفيلم، ولـ إنه هو نفسه كان هاوي لـ السينما عمومًا، والسينما الأجنبية خصوصًا، فكّر في إنه يروح يتعلم الحكاية، وقد كان.

أيوه، تمام، هو دلوقتي اتعلم الحكاية دي، هـ يعمل بقى بيها إيه لما يوصل مصر، هل فيه حركة لـ ترجمة الأفلام العلمية؟ مش قد كده، ثم إنه هو بـ يحب الأفلام الأجنبي، وكان غرض تعلمه الأساسي هو إنه يوسع قاعدة الفيلم الناطق بـ الإنجليزية في مصر، فـ بدأ يعرض فكرته على موزعي السينما عندنا، فـ رفضوا.

رفضوا لـ إنها مش متجربة، عادة أصحاب الأموال في مصر ما يحبوش يغامروا، هو عايز ريفرنس، يشوفه بـ عينه، ويتأكد إنه شغال، بعدها ربك يسهل، وممكن تلاقي حد، فـ إذا لاقيت حد اقتنع، مش هـ تلاحق بعدين، بس لازم الطلعة الأولى تبقى عليك.

وقتها مكنش حد في العالم كله بـ يعمل كده، مش بس في مصر، فـ كان على الطالب ده إنه يخوض المغامرة بـ نفسه، وهو خاض مغامرات كتير، كان بـ يجيب أفلام قصيرة، علشان التكلفة تبقى أقل، ويعمل لها ترجمة، تفتكر إن ده معناه إنهم ياخدوا الترجمة دي كده مجانًا؟

أبدًا، الفكرة إن دي حاجة مش متجربة، فـ حتى لو بـ بلاش، مش هـ نعملها، أصلًا زبون الفيلم الأجنبي عارف إنجليزي، والفيلم الأجنبي مالوش زبون بره الطبقة دي، فـ ممكن الترجمة تضايق اللي قاعد يتفرج، فـ كان لازم صاحبنا يقدّم النموذج اللي يخلي موزعي الأفلام يلجؤوا له.

قعد الطالب، اللي ما عادش طالب، ينظم عروض لـ الأفلام القصيرة

اللي بـ يترجمها، وخلى الدعوة لـ العروض دي مجانًا على أساس الموزعين يشوفوا نتيجة التجربة بـ عنيهم، وقد كان.

بعد سلسلة من العروض أخيرًا أخيرًا ظهر حد اقتنع بـ الفكرة، وسنة ١٩٤٤ كان أول عرض لـ فيلم روائي مترجم في العالم، ده كان في مصر، فيلم أجنبي اسمه «روميو وجولييت»، والفيلم نجح وكسر الدنيا، فـ كانت المكافأة إن المهندس المصري ده بقى صاحب أول معمل لـ الترجمة، وفضل يشتغل منفردًا حوالي خمسين سنة.

بعدها توسّع، وراح عمل معمل لـ الترجمة في لبنان بـ المشاركة مع شخص لبناني، واشتهر عبر التاريخ بـ تهذيب الشتايم والألفاظ الأبيحة بـ تبًا وعليك اللعنة وتجاهل الكلام اللي فيه تجديف ديني، ومشيت.

إيه ده؟

هو أنا لـ حد دلوقتي ما قلتلكش اسم المهندس المصري العظيم ده؟

إنت أكيد عرفته..

طبعًا أنيس عبيد.

الباشا شيخ الأزهر

الباشا والست

في الكتاب ده، لما نتكلم عن شخصية، مش عايز أكتب بـ طريقة اتولد سنة كذا، وعاش فين، واتوفى إمتى، (جوجل موجود، وياريت ندور سوا) بس بـ غض البصر عن كده، فـ الكلام ده ما ينفعش مع واحد زي مصطفى عبد الرازق.

عبد الرازق من الناس اللي ينفع تتكلم عنه في خمسمية سياق، وألف قضية، بس أحب أبدأ الكلام عنه من باب أم كلثوم.

لما الست جت من طماي الزهايرة، كان الموضوع صعب عليها، المدينة الكبيرة المتوحشة، المستعدة لـ افتراس الفلاحة البسيطة، اللي ما حيلتهاش غير صوتها، ومع إن صوتها ده مش شوية، بس مش كفاية.

سيبك من الإشاعات والرذالة والمنافسين وولاد الكار وكل متاعب المهنة التقليدية، أكبر مشاكل أم كلثوم كانت في «الصيغة»، إيه الصيغة اللي ممكن تقدّم بيها نفسها، وإيه الشخصية اللي تكونها، والمشروع اللي مصر محتاجاه وقتها.

كل ده فيه ناس كتير ساهمت في تظبيطه عند أم كلثوم من أول أبو العلا محمد لـ حد أصغر عازف في فرقتها، لكن نصيب الأسد كان لـ مصطفى عبد الرازق، الشيخ الأزهري اللي كان لسه راجع من السوربون وليون، وداخل معركة التحديث اللي خاضتها مصر بعد ثورة ١٩، داخلها بـ كل ما أوتي من علم وفكر وفن وحساسية.

تأثير عبد الرازق على أم كلثوم محتاج مقالات، هو اللي نقلها من حيث الشكل، ومصادر المعرفة، والتبصير بـ المدنية وأهميتها، غير إنه دافع عنها قولًا وكتابة، بـ اختصار هو اللي اداها ملامحها، وبنى لها الأساس.

حماس عبد الرازق لـ أم كلثوم، مكنش حماس سمّيع لـ مطربة، وإنما جزء من مشروع كامل لـ النهضة كان بـ يحلم بيه، كان المتاح وقتها هو التجديد في الخطاب الديني التقليدي، مكنش مطروح، ولا ينفع يبقى مطروح عمل قطيعة معرفية مع التراث بـ الكامل، يا راجل ده إحنا لـ حد دلوقتي مش عارفين نعمل ده بـ الكامل.

الشيخ مصطفى خد من محمد عبده، ومن اللي اتعلمه في فرنسا، واشتغل بـ نشاط في الصحافة والسياسة والشغل الأكاديمي، يعني مثلًا مثلًا كان أستاذ في كلية الآداب أول ما اتعملت، وكان أستاذ فلسفة، ومن الناس اللي اتعلمت على إيديه، وكان ليه تأثير كبير عليهم؛ نجيب محفوظ بـ جلالة قـدره.

وكان جوهر المشروع هو السؤال: ازاي مصر تقدر تدخل العصر الحديث؟ مش من الناحية الشكلية، أصلك دي سهلة، برلمان ودستور وشوية قوانين وانتخابات والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، بس كل ده يفضل حاجة صورية، لو ما استندش لـ عملية ثقافية مركبة، والثقافة عندنا بـ تصطدم أول ما بـ تصطدم بـ العقلية الدينية التقليدية الرافضة لـ الحداثة بـ طبيعتها.

الواحد بـ يحزن لما يشوف واحد زي الحبيب علي الجفري، بعد عبد الرازق بـ مسيرة ما يقرب من قرن، وقاعد يهاجم الحداثة، ومش شايف إنها بـ تاخد الإنسان لـ قدام ولـ فوق.

مصطفى عبد الرازق هو الأخ الأكبر والمعلم لـ علي عبد الرازق، صاحب الكتاب الشهير «الإسلام وأصول الحكم»، وكان معني أكتر حاجة بـ الثورة الاجتماعية، وشايف إن مصدر الأخلاق اجتماعي، لا هو ديني ولا علمي ولا فني ولا أدبي، وكان بـ يكتب في مجلة اسمها «السفور»، ويشجع على خلع اليشمك والبرقع والحاجات دي، وله معارك على أكتر من مستوى.

مصطفى تولى وزارة الأوقاف ٨ مرات، وخد الباشوية سنة ١٩٤١، لـ حد ما بقى شيخ الأزهر نفسه سنة ١٩٤٥، فـ تنازل عن الباشوية، وفضل شيخ الأزهر لـ حد ما اتوفى سنة ١٩٤٧.

تخيل، مصر عدى عليها وقت، كان شيخ الأزهر هو أحد صنّاع أهم مطربة في تاريخ مصر.

والله ده حصل..

حصل، وما عادش ممكن يحصل، لـ درجة إننا مضطرين نحلف إنه حصل.

حاجة تغيظ

يالا، هـ يروحوا من ربنا فين.

يوم الطالب العالمي

كوبري عباس

لـ إن الإعلام الرسمي عندنا مش مهتم يحتفي ويحتفل بـ نضال الطلبة المصريين في التلاتينات والأربعينات، فـ حكايات الطلاب العظام دول بـ تمر لـ الأجيال مشوشة مشوشر عليها، والحقيقة بـ تختلط بـ الأسطورة، والأحداث بـ تدخل فـ بعضيها، وده حصل لـ كتير من جيلنا.

يعني إحنا نفتكر إن يوم الطالب العالمي ٢١ فبراير يوافق ذكرى فتح كوبري عباس على الطلبة المصريين، اللي خرجوا، في اليوم ده سنة ١٩٤٦، بـ قيادة «علي طه» يتظاهروا ضد الاحتلال الإنجليزي، وإن اسم علي طه خلده نجيب محفوظ في رواية «القاهرة ٣٠» اللي اتعملت فيلم من إخراج صلاح أبو سيف.

الفقرة اللي فاتت دي كل حاجة فيها سليمة، بس لـ وحدها، تعالى نفكها مع بعض، ونبدأ من الآخر:

صلاح أبو سيف فعلا أخرج فيلم القاهرة ٣٠، عن رواية لـ نجيب محفوظ (الفيلم بوظ الرواية)، ورواية محفوظ كان اسمها «القاهرة الجديدة»، بس الفيلم مكانه مش هنا مكانه «ألف مشهد ومشهد»، اللي يهمنا هنا اسم علي طه.

علي طه مكنش زعيم الطلاب، وما خرجش في مظاهرات ١٩٤٦، إنما خرج في مظاهرات ١٩٣٥، الشبيهة جدًا بـ مظاهرات ١٩٤٦، بس دي ما اتفتحش فيها الكوبري، اللي حصل سنة ١٩٣٥ إن البوليس ضرب نار على المظاهرات، فـ اتوفى طالب اسمه علي طه، وطالب تاني اسمه عبد الحكم الجراحي.

اللي كان بـ يقود المظاهرات الطلابية سنة ١٩٣٥ كان طالب في كلية الطب اسمه محمد بلال، اللي سرق جثة علي طه من المشرحة، وأصر على إنه تتعمل له جنازة رسمية، وإلا مش هـ يفرج عن جثة الطالب، وفعلًا بعد ما اتصل بيه مصطفى النحاس، ووافق على الجنازة، أفرج عن الجثة، وكانت جنازة مهيبة.

يوم الطالب العالمي بقى، قصة تانية خالص. وفتح الكوبري مكنش يوم ٢١ فبراير، نبدأ الحدوتة من أولها:

بدأت الحكاية في فبراير ١٩٤٥، لما اتشكلت حكومة محمود فهمي النقراشي، والحكومة دي ما عملتش أي تقدم ملموس في أهم ملف كان بـ يشغل المصريين وقتها، وعلى راسهم طلبة المدارس والجامعات اللي كانوا وقتها فعلًا طليعة ونخبة، الملف ده كان جلاء الإنجليز عن مصر تمامًا، وكانت الشعارات وقتها الهتافات اللي طلعت سنة ١٩١٩: «الجلاء التام أو الموت الزؤام»، والزؤام يعني السريع، أو الشعار التاني: «تعيش مصر حرة مستقلة».

في ٢٦ يناير ١٩٤٦، الإنجليز ردوا على طلبات الحكومة المصرية بـ شأن الجلاء، بـ إنهم مصرين على معاهدة ١٩٣٦، اللي كانت بـ تدي مصر شبه استقلال، أو استقلال كده وكده، فـ طلعت المظاهرات وقتها احتجاجًا على الرد الإنجليزي.

أحداث كوبري عباس حصلت يوم ٩ فبراير ١٩٤٦، لما اجتمعت اللجنة التنفيذية العليا لـ الطبة (اتحاد الطلاب يعني) ودعت الطلاب في كل مكان لـ عمل مؤتمرات وإضرابات وتنظيم تظاهرات تطالب بـ الجلاء التام أو الموت الزؤام، اللي مكنش مجرد شعار، ده اتنفذ فعلًا.

طلاب جامعة القاهرة خرجوا، وانضم لهم طلاب المدرسة السعيدية، وطلبة من كل شكل ولون، ومشيوا في شارع الجامعة، اللي يودي على ميدان الجيزة، ومن ميدان الجيزة اتجهوا لـ كوبري عباس، علشان يعدوا ويروحوا في اتجاه ميدان التحرير.

وقتها كان كوبري عباس مش زي دلوقتي، كان بـ يتفتح لما السفن تعدي، لـ إنه كان فيه سفن بـ تعدي، والكوبري مكنش بـ الارتفاع ده، فـ البوليس فتح عليهم الكوبري علشان ما يعدوش (المشهد ده بـ يفكرك بـ حاجة؟)

لما اتفتح الكوبري، فيه طلبة غرقوا في النيل، والباقيين اتفتح عليهم الرصاص.

٢١ فبراير كان اليوم اللي كل الطلاب في كل العالم عملوا إضراب تضامنًا مع الطلاب المصريين، ومن ساعتها وهو ده يوم الطالب العالمي.

وتعيش مصر حرة مستقلة.

امتثال وفؤاد

انتقام من غير غرام

هي اسمها امتثال، وهو اسمه فؤاد

حكاية امتثال فوزي مع فؤاد الشامي كان ناقص تتغنى على الربابة، ولا أي مأساة إغريقية، حكاية مروية بـ الدموع والدم.

حصلت الحكاية أواخر التلاتينات أوائل الأربعينات، امتثال كانت إسكندرانية، كانت عايشة في بيت بقال يوناني، أيام ما كانت إسكندرية مدينة كوزموبوليتان، ومصر كلها والله كانت كده، مرات الراجل اليوناني كانت خياطة، يعني عيلة يونانية نموذجية.

كان قدام امتثال طريق من اتنين: تتعلم الخياطة من مرات اليوناني، أو تخوض المغامرة وتتعلم الرقص، هي اختارت الحل التاني، أو هو اللي اختارها، لقت قهوة اسمها قهوة الغزاوي، والقهوة فيها نمرة، والنمرة يعني رقاصة، والرقاصة كانت امتثال.

فؤاد كان بلطجي قد الدنيا، صيته مسمع في حي الفجالة كله، وكان نشاطه الأساسي برضه مع يونانيين، بس يونايين مختلفين شوية، دول كان عندهم بارات، ومعامل تقطير، وكانوا طبعًا بـ يعملوا حاجات ضد القانون، لـ إنهم كانوا بـ يغشوا، هو بقى كان القانون البديل، وكان بـ يفوّت لهم مقابل إتاوة.

امتثال كبرت سِنّة، ما عادتش القهوة تنفع، هي نجحت في إنها تطلع السلمة دي، والسلمة الجاية مش في إسكندرية، لازم تيجي مصر المحروسة أم الدنيا، ولما نقول القاهرة المحروسة بـ النسبة لـ رقاصة، فـ إحنا على طول لازم نتكلم عن الكلية، جامعة الفن، المكان اللي بـ يجمع أهل الفن ومحبيه، كازينو بديعة، وقد كان، الست بديعة ضمت امتثال لـ صالتها، وامتثال عدت الفلنكات.

فؤاد هو كمان كان لازم يكبر سِنّة، وزي ما امتثال راحت تشتغل في صالة، هو كمان كان لازم يكون عنده صالة، بس صالة حديد، تقدر تقول جيم، مكان لـ ممارسة الرياضة ولعب الحديد، بس الحقيقي إنه كان تجمع لـ شوية بلطجية بـ يساعدوا فؤاد في مهمته مع أهالي حي الفجالة، ولم الإتاوات من محلات الخمور المغشوشة.

الخطوة الجاية من امتثال إنها تبقى أسطى، وتطلع من المساحة الضيقة اللي محبوسة فيها، وتقب بقى على وش الدنيا، وكانت الخطوة دي إنها تبقى صاحبة صالة، واتلمت على رقاصة زميلتها اسمها ماري منصور، واستأجروا كازينو اسمه كازينو البوسفور في شارع عماد الدين.

بـ النسبة لـ فؤاد الشامي، كانت الخطوة الجاية إنه هو كمان يقب على وش الدنيا، ويخرج من الحتة اللي محبوس فيها، فـ كان الأقرب له شارع عماد الدين، وصالاته، الإتاوة هـ تبقى أضعاف الإتاوات اللي بـ ياخدها

من الخمرة المغشوشة، إتاوات من النوع التقيل على شرب مجاني، هلمّ.

شارع عماد الدين وقتها ما جمعش بس امتثال وفؤاد، كان دنيا كبيرة، عالم من المسارح والكباريهات والصالات، كانت وقتها الحرب العالمية التانية، مع انتشار الترماي مع عوامل تانية كتير، خلت الصالات دي تجمع كبير لـ العمد والفنانين والعساكر والظباط الأجانب، والبلطجية، خلطة عجيبة براها غير جواها، واللي بـ يعدوا عليها بـ يشوفوها بـ شكل، واللي عايشين فيها بـ يشوفوها بـ شكل تاني خالص.

امتثال كانت أسطى، وفؤاد كان أسطى، بس مصالحهم كانت متضاربة، هي عايزة الصالة تعمل إيراد، وهو عينه على الإيراد عايز يقص منه على قد ما يقدر، ما نقدرش نقول كان ممكن يوصلوا لـ نقطة تفاهم ولا لأ، بس اللي نعرفه إنهم ما وصلوش.

في يوم امتثال طردت فؤاد من الصالة، وقالت له ما تعتبش هنا تاني، ودي كانت ممكن تبقى نهايته كـ بلطجي، وانتهى المشهد بـ رقبة إزازة مغروسة في رقبة الرقاصة. ماتت وهو خد مؤبد، قضاه ميت بـ الحياة، وخرج يفتح كشك سجاير في شارع عماد الدين.

القصة دي عملتها ماجدة الخطيب فيلم بـ عنوان «امتثال»، إخراج حسن الإمام طبعًا، القصة اللي كانت السبب في إن الفنانين يستأجروا البودي جاردات لـ حد وقتنا هذا.

وحدووووه..

إنت مصطفى إسماعيل؟

شيخ الحكام والملوك

في قرية ميت غزال، مركز سنطة غربية، سنة ١٩٤٣، كان قاعد يتعشى وسط أهله، فجأة لقى خبط ورزع ع الباب، ومأمور المركز وعمدة القرية بـ يقتحموا البيت، معاهم قوة:

• إنت مصطفى إسماعيل؟

ـ أيوه، يا جناب العمدة، تمام يا حضرة المأمور، خير؟

• هـ ييجي منين الخير، شوف إنت هببت إيه، إنت مطلوب تروح لـ مراد باشا محسن ناظر الخاصة الملكية.

مؤكد لو كان المأمور عرف اللي حصل كان هـ يعامل الراجل اللي رايح له، بـ شكل تاني خالص.

نرجع فلاش باك كام يوم ورا، نلاقي الإذاعة المصرية عاملة بث مباشر من المسجد الحسيني، في مناسبة دينية، وكان المفروض يحييها الشيخ عبد الفتاح الشعشاعي، واحد من المقرئين التقال في البلد.

الشيخ الشعشاعي مشهور ومطلوب، وتلاقيه يوميها كان بـ يحيي المناسبة في خمس ست أماكن، فـ اتأخر عن ميعاد الهوا، وكان لازم الإذاعة تذيع، فـ كان مقرئ اسمه الشيخ محمد الصيفي، كان حاضر فـ طلبوا منه يحيي الليلة بدل الشيخ عبد الفتاح.

زي ما محمد فوزي قدّم بليغ بداله، الشيخ محمد الصيفي قال لهم إنه فيه واحد من اللي قاعدين هنا صوته حلو أوي، فـ الناس قبلت ترشيح الشيخ الصيفي، والإذاعة نقلت لـ أول مرة صوت الشيخ مصطفى إسماعيل وهو بـ يقرا تلاوة بدأت بـ سورة «التحريم»، واستمر يقرا عبر الأثير من الساعة تمانية لـ الساعة تمانية ونص، بس السمّيعة اللي حاضرين لايف ما اكتفوش، فـ فضل يقرا لـ حد نص الليل.

مين كان سامع البث الإذاعي؟

الملك فاروق شخصيًا، فـ قرر إن الراجل صاحب الحنجرة الألماظ دي يبقى مقرئ القصر الملكي، وطلب من مراد باشا محسن إنه يجيب له الشيخ ده، بس كان فيه مشكلة صغيرة إن الإذاعة ما قالتش اسمه، لـ إنه مكنش قارئ معتمد.

ناظر الخاصة الملكية اتصل بـ الشيخ الصيفي، اللي دله على بلد الشيخ مصطفى، وحصل المشهد اللي شفناه في الأول بتاع المأمور والعمدة.

من ساعة الدخلة الملوكي لـ مصطفى إسماعيل، وهو مقرئ الحكّام الأول، كان عنده علم بـ المقامات زي ما له علم بـ التجويد، وكان بـ يجوّد من أي مقام، وأتم تجويد القرآن ٣٠ مرة على إيد أستاذه إدريس فاخر قبل ما يتم ١٦ سنة.

عبد الناصر اداله وسام الاستحقاق، والسادات كان بـ يعتبره مقرئه

المفضل، مش بس من قبل ما يبقى رئيس، ده من قبل يوليو بـ كتير، علشان كده اختاره يروح معاه القدس في الزيارة المعروفة ١٩٧٧، وراح معاه الشيخ مصطفى، ودي مشهورة، بس اللي مش مشهور إنها ما كانتش أول مرة يزور القدس.

قبل ١٩٦٧، كان المصريين بـ يروحوا القدس، وهو زارها سنة ١٩٦٠ في ليلة الإسراء والمعراج، وقرا هناك.

اللي يفرسك بقى، إن عدد الساعات اللي سجلها الشيخ مصطفى وصلت ٥٣ ألف ساعة، عارف يعني إيه ٥٣ ألف ساعة؟ يعني علشان تسمعهم متواصلين محتاج أكتر من ٦ سنين لا تاكل ولا تشرب ولا تنام ولا تدخل الحمام، الراجل ده قضى أغلب عمره بـ يسجل القرآن.

إيه اللي يفرس في كده؟

اللي فضل من التسجيلات دي، قول كام ساعة؟

٣٠٠ ساعة فقط لا غير، هي اللي الإذاعة بـ تعيد وتزيد فيهم، بس ربنا يخلي لنا السمّيعة والهواة واليوتيوب والساوند كلاود، هم اللي بـ يتيحوا لنا نسمع ما تيسر من قراءات الشيخ.

بس اللي أنا نفسي أعرفه وما عرفتوش:

كان إيه موقف المأمور والعمدة لما عرفوا إن الراجل اللي اقتحموا بيته ده بقى مقرئ القصر الملكي الأول؟ هه؟ كان إيه؟

عبد الحكيم عابدين

راسبوتين الإخوان

ترددت كتير قبل ما أكتب الحكاية دي، أولًا لـ إني مش بحب الحكايات الجنسية، ثانيًا لـ إني مش عايز أخوض في السياسة بـ شكل مباشر، بس بـ صراحة الحكاية دي ما تتفوتش لـ إنها مثيرة ودالة، وسامحني لو ما عجبكش محتواها.

عبد الحكيم عابدين، يقال إنه عم الممثل حسن عابدين، بس معنديش مصدر موثق لـ ده، وعمومًا مش مهم، لـ إن عابدين هنا بـ صفته عضو في جماعة الإخوان المسلمين، كمان مش أي عضو، ده كان أمين الجماعة، والدراع الشمال لـ حسن البنا، وجوز أخته في نفس الوقت.

عبد الحكيم ده كان شاعر، وشاب جان، البنا كان مسميه «يوسف الإخوان»، وكان حكّاء ولسانه حلو، وحصل إنه اقترح بـ نظام التزاور بين الإخوة لـ توطيد العلاقات بين الأسر الإخوانية، والجماعة أوكلت له مهمة مباشرة اقتراحه.

سنة ١٩٤٥، بدأ يدور كلام في كواليس التنظيم، إن عابدين استغل الحكاية دي في عمل علاقات غير شرعية مع نساء الجماعة، وإن فيه أعضاء انجرحوا بـ سببه، وبدأوا يطلقوا عليه لقب «راسبوتين الإخوان»، تشبهًا بـ راسبوتين الروسي، رجل الدين اللي كان بـ يستغل منصبه لـ عمل علاقات نسائية محرمة.

البنا أمر بـ تشكيل لجنة لـ بحث الأمر، واللجنة اجتمعت تحت إشراف قيادات الجماعة، ورفعت تقرير لـ البنا، التقرير اتسرب لـ جريدة «صوت الأمة» فـ نشرت صورة منه في يناير ١٩٤٦، وكان نص التقرير كما يلي:

بسم الله الرحمن الرحيم

فضيلة الأستاذ المرشد العام:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد:

هذه اللجنة التي كُلفت بالنظر فى مسألة الأستاذ عبد الحكيم عابدين وحضرات:

١. حسين سليمان

٢. فهمي السيد

٣. محمد عمار

٤. زكي هلال

لم توفّق فى إيجاد التفاهم بين الطرفين، كذلك لا تستطيع تحديد المسؤولية بصفة قاطعة لإفشاء هذه الفتنة، وكان لها فى مهمتها أن تستوضح الطرفين، فجمعت لهذا الغرض البيانات والاستدلالات فى المحاضر المرفقة، مُلخِّصة

بعض الوقائع أو كثير منها، ولم تشأ أن تخرج عن مهمتها إلى التحقيق الشامل، ولكنها خرجت من هذه البيانات برأي قاطع:

• رأت أن ننصح بعدم إجراء تحقيق آخر أو تكوين لجنة تحكيم أو غير ذلك.

• ورأت حسمًا للموضوع أن يُكتفى بما توفر للجنة أساسًا لتكوين فكرة صحيحة نبرزها فيما يلي:

١. موقف هؤلاء الإخوة الأربعة يكون سلبيًا من كل وجهة.

٢. اقتنعت اللجنة اقتناعًا كاملًا بما تجمع لديها من بيانات، سواء من طريق الأربعة المذكورين، أو من طريق غيرهم ممن تقدّم إليها من الإخوان؛ بأن الأستاذ عابدين مُذنب. خصوصًا إذا أضفنا إلى ذلك اعترافاته إلى بعض أعضاء اللجنة، وأن الذنب بالنسبة إليه، وهو من قادة الدعوة، كبير في حق الدعوة وفي حق الأشخاص الذين جُرحوا في أعراضهم، ويحتم عليها واجبها نحو الدعوة توقيع أقصى العقوبة.

لهذا ترى اللجنة بالإجماع: فصل الأستاذ عابدين من عضوية الجماعة.

ونشر هذا القرار

والعمل على مداواة الجروح التي حدثت

٥ صفر ١٣٦٥ هـ ٩ـ ١ ـ ١٩٤٦م.

الموقعين على الوثيقة:

١. أحمد السكري

٢. **صالح عشماوي**

٣. **حسين بدر**

٤. **الدكتور إبراهيم حسن**

٥. **حسين عبدالرازق**

٦. **أمين إسماعيل**

الفكرة مش في إن ده حصل، الفكرة إن حسن البنا رفض إقالة عابدين، وعرض الأمر عليى مكتب الإرشاد، اللي صوّت برضه لـ صالح فصل عابدين، فـ البنا ألغى نظام التزاور، واعتبر الموضوع بـ رمته مؤامرة عليه من أحمد السكري دراعه اليمين، فـ السكري استقال، وفضل عابدين في الجماعة لحد وفاته سنة ١٩٧٧.

وتوتـــة توتـــة..

فرغت الحدوتـــة..

قضية السيارة الجيب

يا محاسن الصدف

كان فيه مخبر ساكن في بيت عنوانه ٣٨ شارع جنينة القوادر، حي الوايلي، قريب من العباسية. المخبر ده كان عنده خصومة مع جاره، اللي اسمه إبراهيم محمود علي، فـ قرر إنه في أقرب فرصة هـ يبلغ عنه في أي حاجة مؤذية.

في ١٩ نوفمبر ١٩٤٨، جت عربية جيب، من غير نمر خالص، وقفت قدام بيت إبراهيم محمود علي، فـ راح المخبر جري، يبلغ في إبراهيم إنه معاه عربية بـ دون ترخيص، وأكيد منّى نفسه بـ إن صاحبنا يتحجز له كام يوم، ويدفع غرامة تضلعه.

المخبر ما كانش يعرف إنه بـ بلاغه ده هـ يفتح الباب قدام واحدة من أكبر المحاكمات في تاريخ القضاء المصري، وهي المعروفة بـ اسم «قضية السيارة الجيب».

الحكاية إن إبراهيم المذكور كان عضو في جماعة الإخوان المسلمين، اللي كانت وقتها جمعية مسجلة رسميًا في الدولة المصرية، وكان ظاهر شغلها

هو الدعوة الإسلامية تحت قيادة حسن البنا، لكنهم كان عندهم تنظيم سري خاص، كوّنه عبد الرحمن السندي، التنظيم ده ممكن تقرا عنه مجلدات مليانة معلومات، كلها متضاربة وعكس بعض.

الإخوان بـ يتكلموا عن إن الجهاز الخاص ده كان ضد الصهاينة والإنجليز، ولعب دور وطني مهم، في حين إن أعداء الإخوان بـ يتكلموا عن إن التنظيم الخاص ده كان عنده صبغة دينية، وكانوا بـ يسموه «الجيش المسلم»، وإحنا عارفين إن التيارات الإسلامية في أدبياتها معندهاش فكرة الوطن من أساسه، وبـ يعتبروا المجتمع كله كافر، إذا ما كانش موافقهم في رؤيتهم لـ الإسلام.

عمومًا، معظم التيارات السياسية وقتها كان عندها أجهزة عسكرية سرية، فضلًا عن إن البلد كانت مليانة بـ جماعات سرية على كل صنف ولون، وكتير منها كان مسلح.

المهم، التنظيم السري ده كان عنده شقة في عرب المحمدي، مليانة أسلحة وأوراق تخص التنظيم، وحسوا إن الحكومة بـ رئاسة النقراشي باشا رئيس الوزراء، عندهم نية ملاحقة التنظيم، فـ قرروا ينضفوا الشقة المذكورة، بعد إحساسهم إنها قربت تنكشف، وكان القرار بـ نقل الحاجات عند إبراهيم جار المخبر اللي بدأنا بيه الحكاية، فـ نقلوا الحاجات في عربية جيب من غير أرقام، وهي العربية اللي كانت السبب في كشف التنظيم وتقديمه لـ المحاكمة.

ممكن تدخل على جوجل، وتقضي نفسك يومين تلاتة تقعد تقرا تفاصيل مثيرة عن التنظيم والقضية، لكننا هنا هـ نهتم بـ حاجتين:

إن القضية كانت سبب في إصدار النقراشي باشا لـ قرار بـ حلّ جماعة

الإخوان المسلمين، تمهيدًا لـ تصفيتها تمامًا، وده كان القرار اللي خلى الإخوان ترد بـ قتل النقراشي باشا، وبداية ظهور الدم في تاريخ الجماعة الأكثر جدلًا في التاريخ المصري.

التاني، عضو اليمين في المحكمة اللي اتقدم لها التنظيم، واللي كان اسمه المستشار محمود عبد اللطيف، واللي الإخوان بـ يروجوا إنه من خلال القضية اقتنع بـ فكر الإخوان وبقى إخواني، وقال حاكمتهم، والآن أنتمي لهم.

الكلام ده كلام فارغ، واكتشفت الحكاية دي بـ الصدفة، لما كنت بـ أكتب قصة حياة د. توحيدة عبد الرحمن، أول طبيبة تتعين في الحكومة المصرية، بـ تكليف من ابنها محمد محمود عبد اللطيف، من خلال حكاية الابن عرفت إن دكتورة توحيدة كانت متجوزة المستشار محمود عبد اللطيف، اللي عمره ما انتمى لـ الإخوان لا تنظيمًا ولا فكرًا، بـ العكس كانت الأسرة صديقة على المستوى الشخصي لـ عبد الناصر طول فترة حكمه، لـ درجة إنه حضر فرح بنتهم الكبيرة سميحة في عز خصومته مع الإخوان ١٩٥٧.

وأزيدك من الشعر بيتًا، الإخوان حاولوا اغتيال المستشار ده بعد القضية، فـ غالبًا هم لما فشلوا قرروا مصادرة تاريخه، بس عادي يعني، عادتهم ولا هـ يشتروها؟

عملية بيع الترماي

رمضان أبو زيد العبد

تخيل إن الراجل اللي باع الترماي كان عنده ٢٤ سنة.

أيوه فيه واحد باع الترماي بـ جد، مش مجرد حدوتة لـ فيلم كوميدي قدمه فطين عبد الوهاب بطولة إسماعيل ياسين وأحمد مظهر، النصاب الأصلي له حكاية بدأت سنة ١٩٤٥، ووصلت لنا في أوائل ١٩٤٨، نبدأها من الأول.

رمضان أبو زيد العبد، ده كان شاب نصاب عمل عمليات كتير كان بـ يحكي عنها بـ اعتبارها عمليات فنية رفيعة المستوى، وأرفعها طبعًا عملية ترام ٣٠.

كان فيه واحد صعيدي اسمه حفظ الله سليمان، جه من بلدهم على أساس مصر أم الدنيا، جاب معاه قرشين هـ يشغلهم في المحروسة ويبقى مستثمر كبير، أصل ٨٣ جنيه وقتها كانوا حاجة مش بطالة ينفع تبدأ بيها مشروع، ولو إنت ناصح، البلية ممكن تلعب معاك، وتعملهم.

ركب حفظ الله ترام ٣٠، فـ قابله رمضان، وبـ حاسة النصاب الفنان

عرف إن هو ده الصيد اللي مستنيه، طلع له سيجارة، وبدأ يتكلم معاه في الدنيا والأحوال، وعرف إنه دفيان، فـ بدأ يجرب معاه الحيل اللي بـ يعملها، مفيش واحدة رشقت، وفجأة لمعت في دماغه الخطة.

الفكرة جات له منين؟

بلدينا ده كان كل شوية يتكلم عن الزحمة بتاعة الترام، فـ لما ظهر الكمساري، وقعد يلم الفلوس، رمضان النصاب سأل حفظ الله:

• تعرف الترام بـ يلم كام في اليوم؟

ـ لع..

• فلوس كتير، ما تعرفش تعدها.

ـ يا بوي!

• تشتريه؟ ده أحسن من أي مشروع.

ـ كويس، فين صاحبه نروح له؟

• أنا صاحبه، أومال أنا راكبه ليه؟ مش علشان أتابعه؟

ـ وبـ كام الترومای ده یا بلدینا؟

• ٢٠٠ جنيه.

ـ كتير، أنا ما عييش غير ٨٣ جنيه.

بس هو ده اللي كان عايزه رمضان، فـ قال لـ حفظ الله إنه هـ ياخد منه تمانين جنيه، ويسيب له تلاتة جنيه لـ حد ما يبدأ يلم الإيراد، ويكتبه كمبيالات بـ باقي المبلغ، وخده من إيده طلع عند محامي من طرفه، كتبوا العقد والكمبيالات.

عرف إن هو ده الصيد اللي مستنيه، طلع له سيجارة، وبدأ يتكلم معاه في الدنيا والأحوال، وعرف إنه دفيان، فـ بدأ يجرب معاه الحيل اللي بـ يعملها، مفيش واحدة رشقت، وفجأة لمعت في دماغه الخطة.

الفكرة جات له منين؟

بلدينا ده كان كل شوية يتكلم عن الزحمة بتاعة الترام، فـ لما ظهر الكمساري، وقعد يلم الفلوس، رمضان النصاب سأل حفظ الله:

• تعرف الترام بـ يلم كام في اليوم؟

ـ لع..

• فلوس كتير، ما تعرفش تعدها.

ـ يا بوي!

• تشتريه؟ ده أحسن من أي مشروع.

ـ كويس، فين صاحبه نروح له؟

• أنا صاحبه، أومال أنا راكبه ليه؟ مش علشان أتابعه؟

ـ وبـ كام الترومواي ده يا بلدينا؟

• ٢٠٠ جنيه.

ـ كتير، أنا ما عييش غير ٨٣ جنيه.

بس هو ده اللي كان عايزه رمضان، فـ قال لـ حفظ الله إنه هـ ياخد منه تمانين جنيه، ويسيب له تلاتة جنيه لـ حد ما يبدأ يلم الإيراد، ويكتبه كمبيالات بـ باقي المبلغ، وخده من إيده طلع عند محامي من طرفه، كتبوا العقد والكمبيالات.

علشان يسبك رمضان الدور، خد حفظ الله من إيده وطلعوا الترام من أول الخط، وراح رمضان لـ الكومساري وغمزه بـ قرشين، وفهمه إن ده بلدياته وما يعرفش حاجة، فـ خد بالك منه ونزله آخر الخط. الكمساري قال لـ رمضان: تمام يا أفندم.

كل ده وحفظ الله مش سامع الحوار، هو بس شاف الكمساري، وهو بـ يدي التحية لـ رمضان، فـ تأكد إن البيعة صح.

لما وصلوا آخر الخط، الكمساري قال لـ حفظ الله، إنه خلاص وصلنا، فـ حفظ الله طالبه بـ الإيراد، وقال له أنا عادد الفلوس، وهم مبلغ كذا، وكانت النهاية المتوقعة بـ إنهم راحوا القسم وعرفوا اللي فيها.

اللي وقع رمضان إن القسم عرف أسلوبه، وقالوا إن دي عملة ما يعملهاش غير رمضان، فـ وروا صوره لـ حفظ الله، فـ اتعرف عليه، واتحاكم وخد فيها تلات سنين، وخرج بعد سنتين ونص، علشان تعمل معاه أخبار اليوم حوار، يحكي فيه عن قصصه اللي اقتبسها جليل البنداري، وعمل فيلم العتبة الخضرا سنة ١٩٥٩.

اللطيف إن حكايات أبو زيد فضلت مشهورة فترة طويلة، وسنة ١٩٦٣، مجلة آخر ساعة عملت معاه حوار موسّع، حكى فيه حكاية الترام تاني، وحكايات كتير، منها حكاية نصب على جواهرجي اسمه باروخ ليشع، وزي ما حوار الترماي كان موضوع لـ فيلم العتبة الخضرا، حكايته مع الجواهرجي كانت موضوع لـ فيلم «عصابة حمادة وتوتو».

اللي ما ذكرتوش أخبار اليوم ولا آخر ساعة، هل لما قبضوا على رمضان، رجع الفلوس لـ حفظ الله، ولا كان صرفها؟

أعتقد كان صرفها..

مش كده؟

البطل أحمد عبد العزيز

نيران صديقة

البطل أحمد عبد العزيز، مش مجرد اسم شارع، ده اسم واحد من أهم المقاتلين المصريين في حرب ١٩٤٨، الشهيرة في تاريخنا بـ اسم النكبة.

في كتاب العروش والجيوش، محمد حسنين هيكل بـ يقول إنه كان صحفي في أخبار اليوم وقتها، وكما هي العادة القوات المسلحة كانت مانعة الصحافة من إنها تغطي اللي بـ يحصل، اكتفاء بـ الأخبار الواردة من الشئون المعنوية (الموضوع من زمان، من قبل يوليو).

هيكل بـ يحكي إنه خد مصوّر، ونجح في إنه يخترق المعارك، ويوصل لـ مكان قوات البطل أحمد عبد العزيز وياخد أخبار وصور، بس لما رجع من الجبهة، ما رضيوش ينشروا أي حاجة بـ استثناء شوية صور منها الصورة الوحيدة لـ البطل، ودي كانت المرة الأولى اللي المصريين يسمعوا فيها اسمه.

أحمد عبد العزيز ممكن يتكتب عنه كتاب كامل، وهو يستحق، بس

إحنا هـ نقف عند كام حاجة نشاور عليهم، منها إن أبوه محمد عبد العزيز كان ظابط في الجيش المصري، بـ التحديد أميرالاي وقائد الكتيبة التامنة لـ الجيش المصري في السودان، علشان كده البطل أحمد عبد العزيز اتولد في السودان.

المهم، إن الأميرالاي محمد عبد العزيز اتفصل من الجيش سنة ١٩١٩ لـ إنه لما قامت الثورة طلع الجنود بتاعته من الكتيبة يشاركوا الناس في المظاهرات فـ تعرض لـ محاكمة عسكرية، انتهت بـ فصله من الجيش.

قصة الأب هـ يكررها الابن بس بـ صورة أخف شويتين، ومختلفة تلات شويات، لـ إنه لما ولعت حرب ١٩٤٨، كان رأي البطل أحمد عبد العزيز إن تدخل الجيوش في الحرب غلطة كبيرة، هـ يدي فرصة لـ إسرائيل تظهر بـ مظهر الدولة اللي بـ تواجه دول، ويدي جيشها صفة الجيش النظامي (ده اللي حصل فعلاً).

عبد العزيز كان شايف إن عصابات الصهيونية، لازم يترد عليها بـ شغل عصابات مضاد، علشان كده لازم القتال يعتمد على الأهالي والمتطوعين. ووجهة نظره دي مكنتش وجهة نظر، لـ إنه نقلها لـ المساحة العملية بـ إنه بدأ في تدريب أهالي ومتطوعين على إطلاق النار والحياة العسكرية في معسكر الهايكستب الشهير.

الجيش خيّره بين التوقف عن اللي بـ يعمله أو الإحالة لـ الاستيداع، فـ راح مقدم طلب بـ نفسه إنه يتحال لـ الاستيداع، واستمر في شغله، ورغم انسحابه من الجيش، ورغم إنه مكنش شايفها حرب جيوش، إلا إنه حط نفسه هو وقواته تحت تصرف القوات المسلحة المصرية.

المحزن بـ جد هو الطريقة اللي راح بيها أحمد عبد العزيز، بعد كل البطولات اللي حققها ع الجبهة، بـ غض النظر عن نتيجة الحرب كـ كل.



كانت المفاوضات دايرة في مقر قيادة الجيش العربي اللي في القدس، بـ حضور الكولونيل عبد الله التل، ولما انتهت المفاوضات في ليلة ٢٢ أغسطس، حب أحمد عبد العزيز إنه ينقل نتائج المفاوضات لـ القيادة المصرية العامة في المجدل، فـ راح على غزة، مكان مقر قيادة الجيش المصري، وأصر على إن يروح مع إن المعارك كانت وقتها دايرة بشدة في الطريق اللي يودي للمجدل.

كانت منطقة عراق المنشية اللي هـ يمر عليها مستهدفة من اليهود، وده خلى القيادة العامة تمنع السير على الطريق ده بالليل. وكانت كتيبة عسكرية مصرية عاملة كمين هناك، وعندها أوامر بضرب أي عربية تعدي. يدوب عربية البطل وصلت المكان اشتبه فيها واحد من الحراس اسمه العريف بكر الصعيدي، افتكرها تابعة لـ العدو، فـ نقطة المراقبة أطلقت النار، واللي حصل حصل، ربنا يرحم الجميع.

الأسلحة الفاسدة

هي الأسلحة برضه اللي فاسدة؟

من واحنا صغيرين، كانوا بـ يعلمونا إننا انهزمنا في حرب ١٩٤٨ بـ سبب الأسلحة الفاسدة، اللي كانت بـ تفرقع في جنودنا بدل ما تضرب العدو.

كبرنا شوية، وفي نص التسعينات كده، بدأت أصوات تشكك في الحكاية دي، على أساس إن اللي اخترعها هم رجال يوليو، لـ إنهم في ١٩٤٨ كانوا ظباط في الجيش، ومنهم اللي حارب ع الجبهة، فـ عايزين يشيلوها لـ الملك وتجار السلاح اليهود.

بص!

أنا مؤمن بـ إنها مش فارقة كتير، بس هـ أحكي لك تفاصيل القضية دي زي ما قريتها، وإنت احكم زي ما إنت عايز.

القضية انفجرت من روز اليوسف، لما إحسان عبد القدوس قرر إنه ينشر تفاصيل تخص تسليح الجيش في حرب ١٩٤٨، فـ نشر في روز اليوسف سنة ١٩٥٠، تحديدًا في العدد رقم ١٤٩، بـ تاريخ ٢٠ يونيه تفاصيل تخص

تلاعبات في تسليح الجيش، فـ راح مصطفى نصرت وزير الحربية قدّم بلاغ لـ النائب العام يطالب بـ فتح تحقيق في القضية، والتحقيق اتفتح فعلًا.

من تحقيق روز اليوسف اتعرف سيناريو الأحداث:

قرار دخول الحرب كان قرار غير مدروس، لـ إن الجيش مكنش مستعد بـ التسليح الكافي لـ دخول مواجهة زي كده، مع إسرائيل ومن وراها بريطانيا، النقطة دي عليها إجماع، بـ غض النظر عن اللي هـ ييجي بعد كده.

لما دخلنا أجواء الحرب، كان لازم نسلح الجيش طبعًا، بس كان فيه عقبتين: الأولى، تخص عامل السرعة، والتانية وهي الأهم، قرار دولي بـ عدم تسليح الأطراف المشتبكة في حرب فلسطين، وطبعًا ده قرار مقصود منه تحجيم مصر علشان يبقى قدامها صعوبات في عملية التسليح.

لـ التغلب على العقبتين دول تم التصرف بـ إبرام صفقات بـ أسماء شركات وسماسرة سلاح، وبـ معرفتهم، وهنا بدأ التلاعب في الأمر، اللي كان ممكن ما نسمعش عنه خالص، لولا تقرير ديوان المحاسبات وصراع الأحزاب وقتها، وديوان المحاسبات بـ المناسبة يعني زي الجهاز المركزي لـ المحاسبات دلوقتي.

الفكرة إن تقرير الديوان كان بـ يتكلم عن «فساد مالي» بـ الدرجة الأولى، وعمولات متغطية، وحاجات غير عسكرية، وده كان بـ يحرج حكومة الوفد ساعتها اللي ضغطت كتير على رئيس الديوان إنه يحذف المخالفات دي من التقرير، على أساس إنها كانت حرب وظروف غير تقليدية صعب تبقى فيها منضبط محاسبيًا.

الملك من ناحيته، ورغم عدم الوفاق بـ صورة عامة مع الوفد، كان بـ يدعم الحكومة لـ إن التقرير كان طايل ناس في الوفد، فـ استمر الضغط

على رئيس الديوان اللي قدم استقالته، وسرب التقرير لـ نائب معارض اسمه مصطفى مرعي، اللي قدّم استجواب في البرلمان مايو ١٩٤٩. وكان ممكن برضه كل ده يمر زي أي أزمة لولا تقرير روز اليوسف اللي فضح الدنيا.

النائب العام فتح تحقيق استمر فترة طويلة، وكان فيه تمييز بين المتهمين المنتمين لـ الحاشية الملكية، والمتهمين التانيين، وسنة ١٩٥١ اتحفظ التحقيق فيما يخص الحاشية الملكية، بـ معنى إنهم خدوا براءة، طبعًا ده كان بـ ضغط من الملك وتواطؤ من الحكومة، في حين تمت إحالة المتهمين التانيين لـ المحاكمة.

فضلت القضية تتداول لـ حد ما قامت الحركة المباركة في ١٩٥٢، والقضية اتنظرت سنة ١٩٥٣، واتحكم فيها بـ براءة المتهمين جميعًا، ما عدا اتنين عسكريين اتحكم عليهم بـ غرامية مالية ١٠٠ جنيه. (لاحظ إن الحكم طلع أثناء حكم الظباط).

كووووول الكلام ده مالوش علاقة بـ الجانب الفني من الناحية العسكرية، واللي البعض بـ يشوف إن التسليح بـ الطريقة دي خلانا نعتمد على أسلحة فسدانة (على رأي غنوة عبد الحليم)، والبعض الآخر بـ يشوف إن التأثير فنيًا كان محدود وما نتجش عنه فارق في ميدان المعركة، اللي كانت محسومة قبل ما تبدأ.

والله أعلى وأعلم..

التحقيق مع ناصر

الظباط ولا الإخوان؟

بعد حرب ٤٨، مصر اتقلبت، كل حاجة ما بقيتش في مطرحها، ١٩٤٨ كانت لحظة مهمة انفجرت فيها أوضاع كانت مكتومة بقالها شوية، وحصل انهيار لـ شعبية الملك فاروق، اللي كان عنده بـ الفعل شعبية في السنين الأولى من حكمه. والانهيار كان مفاجئ وسريع وقوي.

في اللحظات دي نشط تنظيم الظباط الأحرار، وكان عبد الناصر دينامو التنظيم، كان ظابط في الجيش، وحارب على الجبهة، ورجع يدبر لـ اللي هـ يحصل في ٢٣ يوليو ١٩٥٢، بس دايمًا كان فيه سؤال شاغلني: وهو فين البوليس السياسي من ده كله، ازاي ساب تنظيم الظباط الأحرار يستفحل لـ حد ما يوصل لـ درجة الإطاحة بـ الملك؟

فيه واقعة الناس بـ تستنتج منها إنهم كانوا «حاسين»، بس الواقعة دي على العكس بـ النسبة لي، بـ تأكد إنهم كانوا نايمين في العسل، خلينا نشوف الواقعة وبعدين نعلق عليها:

في يوم من الفترة التالية لـ الحرب، وتحديدًا في ٢٤ يونيه ١٩٤٩، جه عثمان باشا المهدي رئيس هيئة أركان حرب الجيش، استدعى الظابط جمال عبد الناصر، وطلب منه إنه يقابل رئيس الوزرا إبراهيم باشا عبد الهادي. وراح فعلًا عبد الناصر لـ «المقابلة» بـ حضور أحمد طلعت رئيس القلم السياسي، اللي وجوده خلى المقابلة «تحقيق» بـ معنى أو بـ آخر.

فيه كذا رواية لـ التحقيق ده، لكن اللي بـ نفهمه من الروايات المختلفة إن البوليس السياسي كان مهتم يعرف علاقة عبد الناصر بـ تنظيم الإخوان المسلمين، خصوصًا إنهم لقوا مع التنظيم كتيب سري، المفروض يتوزع في نطاق الجيش، عن كيفية تصنيع الأسلحة والقنابل اليدوية، والكتيب ده تأليف اليوزباشي جمال عبد الناصر، فـ كانوا عايزين يعرفوا ازاي كتيب زي ده يوصل لـ التنظيم.

ربما تطرق التحقيق كمان لـ علاقة عبد الناصر بـ تدريب مدنيين في الحرب، اللي شهدت اختلاط بين المتطوعين والجيش زي ما شفنا في قصة البطل أحمد عبد العزيز، فـ هما كانوا عايزين يعرفوا حدود تدريب المدنيين، وطبيعتهم، وهل ليهم علاقة بـ الإخوان المسلمين.

لما نضيف لـ ده إن رئيس الوزرا ده كان جي على طول بعد اغتيال محمود فهمي النقراشي على إيد الإخوان نفسهم، نفهم إن المستهدف من إجراء تحقيق زي ده هو تجميع الخيوط بـ خصوص الإخوان ومدى توغلهم في مؤسسات الدولة المختلفة، وعلى راسها طبعًا المؤسسة العسكرية.

مفيش أي رواية، بـ حسب علمي، ذكرت إن التحقيق مع ناصر تطرق إلى تنظيم الظباط الأحرار من قريب أو من بعيد، لا بـ التصريح ولا حتى بـ التلميح، كل الكلام كان مودي في سكة الإخوان.

رواية خالد محيي كانت أكثر صراحة في ربط اللقاء بـ الإخوان، وحكى إنه كان معاصر لـ الحكاية، بـ معنى إن ثروت عكاشة، اللي كان واحد من الضباط الأحرار، واللي بعد كده بقى أشهر وزير ثقافة، وصلته أخبار عن التحقيق، فـ طلب من محيي الدين يقابله في مكان هادي، وشرح له حكاية صلة التنظيم بـ الإخوان.

حتى الرواية اللي ما جابتش سيرة الإخوان، وهي رواية سامي شرف، مدير مكتب عبد الناصر، بس بعد ما بقى رئيس الجمهورية، ما جابتش سيرة الضباط الأحرار وركز على ثبات عبد الناصر الانفعالي في التحقيق.

على أي حال نجح عبد الناصر في إنه يفلت من التحقيق بـ إنه ربط كل الخيوط، التدريب والكتيب والإخوان، بـ ظابط واحد، ولما سأله رئيس الوزرا عن اسم الظابط قال له: اليوزباشي أنور النصيحي، فـ رئيس الوزرا سأله عن بيانات النصيحي، فـ ناصر قال له إنه استشهد في ١٩٤٨، بـ ما معناه إنهاء الموضوع.

بس الموضوع ما انتهاش.

رياض غالي

ملكة مصر المسيحية

رياض غالي، رياض بشاي غالي، مواطن مصري من مواليد شبرا، كان ممكن يعيش ويموت زي غيره ما عاش ومات، وما نعرفش عنهم أي حاجة، لولا إنه اتجوز جوازة ما تنفعش، ما تنفعش من أي ناحية، وانتهت الجوازة والزوج والزوجة نهاية مأساوية.

الملك فاروق كان له أخت اسمها فتحية، يعني فتحية أميرة، وهي اللي عليها الكلام، اتولدت سنة ١٩٣٠، ولما بقى عندها ست سنين أخوها بقى الملك بعد أبوها، بس وهي عندها أقل من عشرين سنة هـ يحصل سويتش فـ حياتها، يقلب كل الأمور بـ النسبة لها.

أمها، الملكة نازلي، تعبت وراحت تعمل جولة علاجية في أوروبا، وخدت معاها بنتها فتحية، وهناك اتعرفوا على رياض، اللي كان موظف في السلك الدبلوماسي، موظف صغير، فيه ناس بـ تقول إن مهمته كانت بـ النسبة لـ وفد الملكة وبنتها، إنه يشيل الشنط، بس أعتقد دي مبالغة.

لكن مهما كانت مهمته، هو كان بسيط، كان يدوب معاه الابتدائية اللي خدها من مدرسة الفرير، وبعدين لقى واسطة اشتغل بيها في الخارجية، ودوه الأول الكونجو، وبعدين نقلوه على لندن ومنها لـ القنصلية المصرية في مارسيليا الفرنسية، وهناك قابل العائلة الملكية.

البنت حبت الولد، والحب ده مكنش ملائم، مش بس علشان هي أميرة وهو موظف كحيان، لكن كمان لـ إنه مسيحي وهي مسلمة، مفيش بينهم أي توافق لا ديني ولا اجتماعي ولا اقتصادي، بس الهوى يا أبلة، الهوى غلاب.

اعترض الملك فاروق على الجوازة، بس أمها وافقت، وكدبت على ابنها وقالت له إنه اعتنق الإسلام، مع إن اللي حصل إن ملكة مصر وبنتها هم اللي اعتنقوا المسيحية، مش بس كده، دول حوّلوا كل فلوسهم على الولايات المتحدة الأمريكية، وقرروا يعيشوا هناك، أسرة مع بعضيهم.

سنة ١٩٥٠ اتجوز رياض وفتحية رسميًا، وخلّفوا عيل ورا عيل ورا عيل، تلاتة: رفيق، رائد، رانيا، كلهم على حرف الراء زي أبوهم، زائد إنها أسماء منتشرة في مصر بين المسيحيين. وكان رياض هو اللي بـ يدير ممتلكات الملكة نازلي وبنتها، بس واحد موظف هل هـ يكون عنده خبرة في إدارة الأعمال والأموال؟

اللي حصل إن رياض كان بـ يضارب بـ الفلوس في البورصة، والبورصة ما تنفعش تبقى استثمار لـ وحدها، البورصة قمار، بس تفتكر اللي قامر بـ حياته كلها في جوازة مغضوب عليها، مش هـ يقامر بـ فلوسه؟ ويا ريتها فلوسه.

بعد يوليو ١٩٥٢، ورحيل الملك عن مصر، كانت راحت السكرة وجات الفكرة، والحب اللي كان بين الزوجين بقى عامل زي مية البانيو، أول

لكن مهما كانت مهمته، هو كان بسيط، كان يدوب معاه الابتدائية اللي خدها من مدرسة الفرير، وبعدين لقى واسطة اشتغل بيها في الخارجية، ودوه الأول الكونجو، وبعدين نقلوه على لندن ومنها لـ القنصلية المصرية في مارسيليا الفرنسية، وهناك قابل العائلة الملكية.

البنت حبت الولد، والحب ده مكنش ملائم، مش بس علشان هي أميرة وهو موظف كحيان، لكن كمان لـ إنه مسيحي وهي مسلمة، مفيش بينهم أي توافق لا ديني ولا اجتماعي ولا اقتصادي، بس الهوى يا أبلة، الهوى غلاب.

اعترض الملك فاروق على الجوازة، بس أمها وافقت، وكدبت على ابنها وقالت له إنه اعتنق الإسلام، مع إن اللي حصل إن ملكة مصر وبنتها هم اللي اعتنقوا المسيحية، مش بس كده، دول حوّلوا كل فلوسهم على الولايات المتحدة الأمريكية، وقرروا يعيشوا هناك، أسرة مع بعضيهم.

سنة ١٩٥٠ اتجوز رياض وفتحية رسميًا، وخلّفوا عيل ورا عيل ورا عيل، تلاتة: رفيق، رائد، رانيا، كلهم على حرف الراء زي أبوهم، زائد إنها أسماء منتشرة في مصر بين المسيحيين. وكان رياض هو اللي بـ يدير ممتلكات الملكة نازلي وبنتها، بس واحد موظف هل هـ يكون عنده خبرة في إدارة الأعمال والأموال؟

اللي حصل إن رياض كان بـ يضارب بـ الفلوس في البورصة، والبورصة ما تنفعش تبقى استثمار لـ وحدها، البورصة قمار، بس تفتكر اللي قامر بـ حياته كلها في جوازة مغضوب عليها، مش هـ يقامر بـ فلوسه؟ ويا ريتها فلوسه.

بعد يوليو ١٩٥٢، ورحيل الملك عن مصر، كانت راحت السكرة وجات الفكرة، والحب اللي كان بين الزوجين بقى عامل زي مية البانيو، أول

ما تدخله بـ يبقي دافي ومنعش، وما تبقاش عايز تخرج منه، بـ مرور الوقت، ووقت مش طويل، المية هـ تبرد، وهـ تبقى مش مستحملها، وكل اللي عايزه إنك تخرج منه، وتزيل عن جسمك آثاره.

فوق ده وده خلصت الفلوس، والأميرة أعلنت إفلاسها، وما عادوش بـ ياكلوا من قتاية محلولة، وما بقاش عند الأميرة الصغيرة (اللي ما بقتش أميرة، وما بقتش صغيرة) غير محاولتها إنها ترجع مصر، حتى لو رجعت لـ وحدها.

رياض كان مستحيل يرجع ويعيش في مصر بعد ما عمل اللي عمله، محدش هـ يرحب بيه، فـ كان طبيعي إنه يمنع مراته من إنها ترجع.

هي مصرة وهو مصمم، وده جو ما يجيبش غير مشاحنات، سنة ١٩٧٦، قرر رياض إنه يحط حد لـ كل ده، يقتلها وينتحر، ربنا وفقه في إنه يقتلها، بس ما قدرش ينتحر، كل اللي عمله إنه أصاب نفسه إصابة جابت له شلل وعمى، ومات في السجن، وعلى رأي عبد الوهاب:

كل ده كان ليه؟

تلات حكايات

يا حِزن الحِزن

هنا مش هـ أحكي لك حكاية واحدة، دول تلات حكايات ملضومين في بعض على مسئولية الباحث د. أشرف صبري اللي جمّع وثائق بـ تثبت الكلام ده، وقصاصات من مجلة اللطائف المصورة، وجرايد تانية خارجية، بـ تقول لك: كنا فين وبقينا فين، أو هم كانوا مننا فين وبقوا فين.

أول حكاية، ١٩١٣، تحديدًا شهر يوليو، مصر بـ تفتتح أول محطة لـ توليد الطاقة الشمسية في المعادي، في شارع ١٠١، وده الحدث اللي احتفلت بيه جمعية الطاقة الحرارية الشمسية في أستراليا سنة ٢٠١٣ بـ مناسبة مرور ١٠٠ سنة على الحدث.

والحكاية إن فيه عالم أمريكي اسمه فرانك شومان، عرض على الحكومة المصرية سنة ١٩١١، إنهم يمولوا مشروع لـ توليد الطاقة الشمسية، على اعتبار إن مصر أحسن مكان لـ ده، من ناحية علشان «حلاوة شمسنا»، ومن ناحية لـ إن الطاقة الناتجة مناسبة لـ استخدامها في عملية الزراعة،

خصوصا زراعة القطن، اللي كان أهم مصدر لـ الدخل القومي المصري، وفضل كده سنين طويلة، ومفيش حاجة نافسته إلا السينما.

فعلًا، في التاريخ المذكور خرجت أول وحدة رفع طاقة شمسية بحجم صناعي فى العالم بـ المعادي، بـ قوة ١٠٠ حصان، تضخ ٦٠٠٠ جالون مَية في الدقيقة الواحدة، ويوم افتتاحها فرانك شومان قال: «إن ما حدث في مصر هو انطلاقة لعصر جديد من الطاقة في التاريخ».

ما أعرفش لو عايش دلوقتي، وشاف حالنا كان قال إيه.

الحكاية التانية، وكنا أواخر الحرب العالمية الأولى، سنة ١٩١٨، لما بلجيكا بعتت لـ مصر، تستنجد بيها وتطلب مساعدة لـ إنقاذها من أخطار الفقر والمرض، فـ مصر بعتت حوالي ٦٠٠ ألف فرانك بلجيكي دفعة أولى، تضامنًا مع الشعب البلجيكي الفقير.

ملكة بلجيكا بـ نفسها بعتت جواب شكر لـ مصر، كتبته بـ خط إيدها، بـ تقول فيه إن بلجيكا لا يمكن تنسى الشعب المصري اللي مد لها يد العون، ومش بس الملكة بعتت، دي كمان سكرتيرتها بعتت جواب تاني.

جواب السكرتيرة بقى، يتميز عن جواب الملكة، في إنه احتوى على تفصيل لـ المبالغ اللي بعتتها مصر وأوجه إنفاقها، ١٦٥ ألف فرنك لـ حساب الملكة الشخصي، بـ اعتبارها رئيسة الممرضات، ولـ الإنفاق منها على تمريض ضحايا الحرب العالمية الأولى، و ٢٥٠ ألف فرنك لـ شراء أكل، و ١٥٠ ألف فرنك لـ شراء ملابس شتوية.

فيه ناس تقول لك إن مصر ما بعتتش ده نتيجة وفرة عندها، وإنما كانت نوع من الفردة الإنجليزية، على أساس إن بريطانيا بـ تساعد حلفاءها، عن طريق الدول اللي هي محتلاها، وإن جميع الأموال دي اتصرفت على الجيش

والجنود، مفيش حاجة منها دخلت لـ الشعب البلجيكي المدني.

بس حتى لو كان كده، أهو كان عندنا فلوس ندي، دلوقتي ازي الحال؟

ما علينا..

المهم إن الحكاية التالتة في الأربعينات، تحديدًا إبريل ١٩٤٦، الرئيس الأمريكي ترومان، اللي يعرفه المثقفين المصريين القدام من خلال قصيدة عبد الرحمن الشرقاوي الشهيرة، ترومان بعت رئيس أسبق لـ أمريكا في مهمة رسمية لدى الملك فاروق بـ يطلب منه مساعدات مالية لـ دول أوروبا، اللي بقت بـ تعيش على حافة الإفلاس، والخبر كان منشور كده: طلب مساعدات مالية.

ما أعتقدش إن ده كان حاجة غريبة، لـ إن مصر من سنة ١٩٢٦ لـ حد أوائل الخمسينات كانت بـ تمتلك أكبر غطاء نقدي من الذهب في العالم متفوقة على جميع الدول، بـ ما فيها بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية، علشان كده الجنيه المصري كان أغلى من الاسترليني والدولار، والبقاء لله لا أراكم الله مكروهًا في عزيز لديكم.

يوسف صديق

بطل يوليو

كان المفروض تتحرك القوات التابعة لـ الظباط الأحرار، الساعة ١٢ بـ الليل من يوم ٢٢ يوليو ١٩٥٢، اللي هي أول ثانية في يوم ٢٣ يوليو، بس عبد الناصر، قبل الميعاد المحدد بـ شوية صغيرين، غير الميعاد خلاه الساعة واحدة بـ الليل، وبلغوا الميعاد الجديد لـ الجميع، ما عدا واحد بس.

الواحد ده كان يوسف صديق، يوسف منصور يوسف صديق، الظابط ابن الظابط ابن الظابط، اللي جده اتقتل مع كل أعمامه في السودان، لـ إنه كان حاكم كردفان وقت الثورة المهدية، بس برضه أبوه طلع ظابط وهو كمان.

يوسف صديق انضم لـ الظباط الأحرار سنة ١٩٥١، جنّده لـ التنظيم ظابط اسمه وحيد رمضان، قال له: إنت من الأحرار يا يوسف، فـ وافق طبعًا، وقبل ٢٣ يوليو بـ أيام عبد الناصر وعبد الحكيم اجتمعوا بيه، وعرضوا عليه خطة التحرك، اللي اسمها «نصر».

ليلة ٢٣ يوليو نفسها، يوسف كان قائد كتيبة في العريش، واتحرك بيها،

بـ معاونة من ظابط مساعد له اسمه عبد المجيد شديد، لـ حد ما وصلوا عند الهايكستب، وهناك خطب في جنود الكتيبة يوسف صديق خطبة عصماء مفادها إنهم النهارده هـ يكتبوا التاريخ ويعملوا عمل يفخروا بيه جيل ورا جيل.

خرجت القوة وهي مش عارفة تغيير المواعيد، والساعة دي هي اللي فرقت، لـ إن الجانب المضاد لـ الثورة كان بدأ التحرك بعد ما شم خبر، فـ طلع اللوا عبد الرحمن مكي يشوف إيه اللي بـ يحصل، فـ قابل كتيبة يوسف صديق، فـ الكتيبة اعتقلت مكي بـ أوامر من يوسف دون الرجوع لـ قيادة الثورة.

ظابط كبير تاني هو الأميرالاي عبد الرؤوف عابدين طلع علشان يسيطر على معسكر فرقة الهايكستب، اللي هي عصب القوات، قابلته كتيبة يوسف صديق، وهي محتجزة عبد الرحمن مكي، فـ اعتقلوا عابدين هو التاني وحطوه جنب أخوه.

بعدين، يوسف صديق قابل جمال عبد الناصر، فـ ناصر اعترض على تحرك صديق قبل الميعاد، لـ إنه مكنش عارف بـ تحركات مكي وعابدين، ولا بـ إن القيادة العامة لـ الجيش مجتمعة دلوقتي بـ رياسة حسن فريد علشان سحق «الحركة» اللي بـ تدير الانقلاب العسكري (الثورة علشان أصدقائي الناصريين).

صديق قال لـ عبد الناصر إنه خلاص ما عادش ينفع لـ إنه اعتقل اتنين قيادات، كده لو حصل في الأمور أمور هو إعدام وش، مفيش فيها فصال، وقال له كمان إنه هـ يتجه لـ القيادة العامة، واللي يحصل يحصل.

ارتجل صديق في الطريق خطة لـ حصار مبنى القيادة، ولما وصل فعلًا

كان لا مفر من حدوث اشتباكات، وأعتقد إن دي من المرات شديدة الندرة اللي سلاح مصري يترفع على سلاح مصري ويسقط ضحايا، الجيش المصري الحقيقة اتحافظ عليه طول العهود إنه يبقى جيش الدولة، لا جيش فئة ولا طبقة ولا طايفة ولا ديانة ولا ملك ولا أي حاكم كان، وده اللي بـ يخليه متماسك.

المهم، حصلت الاشتباكات، وسقط فيها أربعة جنود قتلى، اتنين من الثورة واتنين من القيادة، فـ القوات التابعة لـ القيادة عملت عين العقل واستسلمت تمامًا، فـ دخلت كتيبة يوسف صديق مبنى القيادة، فـ اعترض طريقه شاويش، بـ يحاول يمنعه يدخل أوضة الاجتماع، فـ ضربه صديق طلقة فـ رجله، ووصل مع جنوده لـ المكتب اللي فيه الاجتماع، وبعد مقاومة بسيطة وشكلية، خرج المجتمعين رافعين المناديل البيضا علامة الاستسلام، ومنهم كان حسين فريد قائد الجيش، وحمدي هيبة اللي كان ظابط معروف وقتها، وآخرين.

تفتكر بقى لو كان يوسف صديق وصل له تأخير الميعاد ساعة..

مصر كانت هـ تبقى فين دلوقتي؟

الله أعلم..

جلال بك علوبة

الشاهد الأمين

من القيادة العامة للقوات المسلحة

إلى اللواء البحري جلال بك علوبة

قائد عام اليخوت الملكية

عليكم الإبحار باليخت الملكي المحروسة، اليوم، الساعة ١٨٠٠ لنقل حضرة صاحب الجلالة، الملك فاروق الأول، إلى خارج البلاد، بعد تنازله عن العرش، والعودة بهذا اليخت سليمًا إلى ميناء الإسكندرية فورًا.

فريق محمد نجيب

القائد العام للقوات المسلحة

الساعة ١٥٠٠

يوم ٢٦ يوليو ١٩٥٢.

ده كان الأمر الصادر من القوات المسلحة، لـ قائد يخت المحروسة، إنه يطلع بـ الملك بره البلد، حكاية رحيل الملك على يخت المحروسة دي معروفة، بس مش عارف ليه من وأنا صغير كنت عايز أعرف أكتر عن قائد اليخت ومشاعره ومصيره، لـ حد ما قريت مقال من حوالي تسع عشر سنين عن الراجل ده ومذكراته، واكتشفت إنه حقيقي يستاهل.

الراجل اسمه جلال علوبة، زي ما هو واضح من الجواب، وهو بلدياتي من أسيوط، ولو إن القرية اللي اتولد فيها، بقت تتبع محافظة سوهاج حاليًا. والمجال ممكن ما يتسعش لـ سرد قصة حياته، وعمومًا ده مش هدف الكتاب، فـ خليني أركز معاك على كام حاجة تخص الرحلة الأخيرة لـ الملك بـ وصفه ملك:

أولًا، جلال بك علوبة عمل موقف غير طبيعي، اعترف بـ صحته الناس اللي مش في معسكره (اللي شايفين يوليو ثورة على نظام ظالم)، قبل الناس اللي في معسكره (اللي شايفينها انقلاب على نظام شرعي) المهم الحاجة إيه؟

صاحبنا ده اتعرض عليه مليون جنيه (سنة ٥٢) من الملك إنه يفضل معاه في أوروبا وما يرجعش مصر، فـ رفض علشان هو مسئول عن أمانة هي يخت المحروسة، ولازم يرجعها سليمة لـ البلد.

ممكن طبعًا يتقال إنه خاف من ظباط يوليو، ولو عمل كده كان ممكن يطاردوه، بس إيطاليا مكنتش هـ تسلمه لو عمل كده، ثم إن مليون جنيه تقعده باشا في أي بلد إن شا الله حتى أمريكا ذات نفسها.

ممكن كمان يتقال: وهو الملك هـ يدفع ليه كل الفلوس دي؟ خصوصًا إنه هـ يدفعها لـ واحد يعني شغال عنده، ماهوش صاحبه ولا قريبه؟ لكن اللي فهمته إن المبلغ اتعرض من الملك، اللي ما باقش ملك، علشان

«المحروسة» نفسها تفضل معاه، ولو كان علوبة ساب اليخت لـ الملك، وخد الفلوس وهرب بيها، لا كان حد هـ يعرف يوصل له أو يوصل لـ اليخت، أو الفلوس.

ثانيًا، رغم الموقف اللي خده الأميرالاي جلال علوبة، يوليو خدت منه موقف عنيف، وتمت الإطاحة بيه بعد أقل من تلات شهور على رجوعه بـ اليخت، يمكن لـ إنه كان من أخلص الرجال لـ الملك، ولـ بيت الملك، وتربطه بـ القصر علاقات شخصية، ويمكن لـ إنه تعامل مع اللي حصل بـ اعتباره انقلاب عسكري، وفضل يتعامل معاه على هذا الأساس لـ حد ما مات وهو عنده ٩٠ سنة تقريبًا.

ثالثًا، كل تفاصيل الرحلة هـ تلاقيها في مذكرات جلال علوبة اللي كتبها ونشرها سنة ١٩٧٧، ومش غريب إنه ينشرها في الوقت ده لـ إن دي كانت الفترة اللي يوليو عملت ما يشبه الانقلاب على عبد الناصر، والسادات كان فاتح باب شتيمة سلفه على مصراعيه.

الغريب إن أكتر ناس استشهدوا بـ المذكرات دي هم الناصريين، لـ إن الأميرة فريال جت فترة كده وقالت تصريح إن رجال يوليو كانوا عايزين يقصفوا يخت المحروسة لولا استبسال جلال بك علوبة، اللي أنقذ الموقف.

ده كلام مش منطقي، لـ إن الملك والعيلة المالكة كلها كانوا في إيد رجال يوليو وكانوا ممكن يعدموهم لو عايزين، ما هي ثورة بقى، وبـ غض النظر عن ده، مذكرات علوبة نفسه اللي ذكر فيها تفاصيل الرحلة خلت من أي كلام عن المحاولة دي.

والله أعلى وأعلم..

خميس والبقري

الورد اللي قطفته مصر

قليلين لـ الأسف اللي يعرفوا خميس والبقري، ومن القليلين دول قليلين خالص خالص اللي يعرفوا إنهم لما اتعدموا مكنش واحد منهم كمل العشرين سنة.

خميس، اسمه مصطفى خميس، كان عنده وقت إعدامه ١٧ سنة، ومع ذلك كان بقاله خمس سنين في شركة كفر الدوار لـ الغزل والنسيج، تحديدًا في إدارة المخازن والأقمشة، اللي بدأ يشتغل فيها وهو عنده ١٢ سنة، ده كان سنة ١٩٤٧.

البقري كان اسمه علي محمد البقري، كان زميل خميس في نفس الشركة، وكان عمره ١٩ سنة وكسور، بس متجوز ومخلف خمس عيال (في الأقاليم بـ يتجوزوا بدري أوي) وكانت أمه ست بياعة فجل وجرجير، وكان بـ يجري على عياله، يجري وخطوه وئيد من تقل أحماله، على رأي صلاح جاهين.

يوم التلات ١٢ أغسطس ١٩٥٢، بعد أقل من تلات أسابيع على «الثورة»، قامت مظاهرات في كفر الدوار، المظاهرات كانت ضد إدارة الشركة متمثلة في محمد حسين الجمال (مدير عام الشركة)، وابن عمه عزيز الجمال (مدير عام النسيج)، والسكرتير العام ليها حسين فهمي، (تركي).

حاولت المظاهرات تفصل بين اللي قامت ضدهم من جهة (وكانوا من فلول نظام الملك) وبين «الحركة» بتاعة الظباط الأحرار، فـ هتفت لـ قائد الحركة محمد نجيب، بس لـ إن الأوضاع كانت متوترة، الأمن تعامل مع المظاهرات (عبد الناصر كان وزير داخلية) وحصلت مواجهات انتهت بـ مقتل عسكري اسمه سيد الجمل وإصابة خمسين من الأمن والعمال.

وصلت الأنباء لـ مجلس قيادة الثورة، فـ قرر محمد نجيب تشكيل مجلس عسكري لـ محاكمة المتهمين اللي وصل عددهم ٢٩ متهم، وبدأت إجراءات المحاكمة يوم السبت ١٦ أغسطس بمقر الشركة.

تشكلت المحكمة العسكرية وقتها بـ رئاسة البكباشي عبدالمنعم أمين، وعضوية كل من البكباشي عبدالعظيم شحاتة وحسن إبراهيم. وكان في عضويتها كوادر من الإخوان المسلمين، ووقتها كتب سيد قطب مقال شهير يدين فيه الاحتجاجات ويطالب بـ إعدام العمال. وكان على راس المتهمين خميس والبقري.

رئيس المحاكمة سأل المتهمين إذا كان عندهم محامي، مفيش طبعًا، فـ سأل الحاضرين إذا كان فيهم محامي، فـ طلع موسى صبري، اللي كان رايح يغطي الحدث لـ أخبار اليوم، بـ اعتباره ليسانس حقوق، ودافع عنهم، وكان المفروض دفاعه يجيب لهم البراءة.

تاني يوم اتغير الشهود، وصدر حكم مجلس المحاكمة بـ الإعدام، وراح الحكم لـ محمد نجيب علشان يصدق عليه، ونجيب بـ يقول في مذكراته

إنه مكنش عايز يصدق على الحكم بـ الإعدام، بس اللي حواليه قعدوا يخوّفوه، وقالوا له البلد هـ تفلت من إيدينا، فـ طلب يقابل العيال، فـ قابلهم، وما قدرش ياخد منهم حاجة تخفف الحكم عنهم، لـ إنهم رفضوا يعترفوا بـ إن فيه تنظيم بـ يمولهم.

حقيقي بـ أتأثر لما أفتكر اللي كتبه نجيب عن مصطفى خميس اللي عنده ١٧ سنة:

«كان صاحب مبدأ لم يخنه حتى في الفرصة الأخيرة لنجاته»

في التمانينيات، الوفد عملت حوار مع رئيس المحكمة، اللي أصدر الحكم بـ الإعدام، وقال فيه:

«لم أندم على قرار الإعدام ولكن أنا بعدما قررت الحكم ظللت بعدها ١٥ يومًا لا أنام. أصحو من النوم مفزوعًا. لماذا؟ لا أعرف. لا أستطيع أن أقول لكم هذا كان شعورًا طبيعيًا، وأذكر أنني لم أقرأ حكم الإعدام رغم أنني كنت رئيس المحكمة، كلفت عاطف نصار بأن يقرأ حكم الإعدام نيابة عني، إنني كنت أرتعش وهو يقرأ الحكم».

قدام ١٥٠٠ عامل من مصانع البيضا والحرير الصناعي وكفر الدوار، وقف ظابط يتلو الحكم بـ إعدام مصطفى خميس والبقري شنقًا، ١٥٠٠ عامل ومع ذلك هدوء ترمي فيه الإبرة ترن، مصطفى خميس وقف ما انهارش وما اتكلمش، وقف يبص لـ البقري وهو بـ يهتف:

«هـ اموت وأنا مظلوم، إحنا كنا بـ نأيد الحركة وبـ نهتف لـ قائدها،

يا رب أنا هـ اقابلك وأنا مظلوم،

حرام يا ناس حرام».

واتنفذ حكم الإعدام يوم ٧ سبتمبر في سجن الحضرة بـ إسكندرية.

الله يرحمهم..

العقاد مسجونًا

بـ جـد

ما بحبش العقاد، وده مش معناه إني بـ أكرهه، أو عندي حاجة ضده، لكني بـ أعتبره «أوفر ريتيد» بـ يتقدم بـ اعتباره مفكر عظيم، وكاتب عملاق، وشاعر نحرير، وكل الكلام ده، في حين إنه مكنش كده.

الواقع إننا بـ نخلط بين مستهلك الثقافة وبين منتجها، وبـ نعتبر الاتنين كل منهم «مثقف» متعلم متنور، وبـ نقيس الكتّاب بـ «حجم» المعرفة اللي حصلوها في حياتهم. وبـ سرعة كده أقول لك إن ده غير ده، العقاد كان قاري كتير، ويعرف إنجليزي، ومعرفته أضعاف أضعاف ما يفترض في شخص أقصى ما حصله من تعليم نظامي هو الشهادة الابتدائية.

بـ مناسبة الابتدائية بـ ينسبوا لـ العقاد حكاية إنهم سألوه إذا كان عنده رغبة ياخد الدكتوراه، قال لهم: ومن يناقشني؟ على اعتبار إنه مفيش شخص يعرف أكتر منه علشان يناقشه لـ الحصول على الدكتوراه، وإذا صحت الحكاية كده، فـ ده غرور مالوش مبرر، لـ إن الدرجات العلمية مش بـ تتقاس بـ الشبر.

عمومًا، يشكر الراجل على حاجات كتيرة، منها صالونه الشهير، اللي كان بـ يجمع المهتمين بـ الثقافة والمعرفة، واللي كتب عنه أنيس منصور كتير (مع إنه ما حضروش غير مرة ولا حاجة، وكان هامشي جدًا فيه)، كمان يشكر العقاد على إنتاجه الكتير، حتى لو تقييمنا لـ الإنتاج ده إنه مش في عظمة إنتاج آخرين زي طه حسين مثلًا، أو إنه كـ شاعر ما يجيش حاجة في خصمه اللدود أحمد شوقي.

كتابات العقاد كانت إعادة إنتاج لـ قراياته، من غير إضافة جديد، أو رؤية مختلفة، أما إنتاجه الأدبي فكان قليل من الناحية الشعرية أو الروائية، كان جاف، والفكر فيه يغلب الجوانب الفنية.

اللي مش مشهور أوي عن العقاد، إنه إلى جانب إسهامه الثقافي الوفير، كان له نشاط سياسي واسع، النشاط ده وصل بيه لـ دخول السجن سنة ١٩٣٠.

والحكاية إن العقاد كان عضو مجلس النواب وقتها، وكانت مصر عملت أول دستور لها، وهو دستور ١٩٢٣، اللي كان أهم نتيجة لـ ثورة ١٩١٩، إحنا بـ نقول السنين كـ إنها أرقام وخلاص، بس السنين دي عدت على اللي عاشوها، زي ما عدت علينا سنينا، وخلاصة كفاح أربع سنين، اتصاغوا في إن مصر بقت دولة مستقلة لها دستور، يجب احترامه.

في الوقت ده كانت فيه محاولات، نجحت لـ الأسف، في إلغاء دستور ١٩٢٣، وصياغة دستور جديد يحوي تراجع عن المكتسبات اللي حققها دستور ١٩٢٣، فـ وقف العقاد في البرلمان المصري مدافع عن دستور ١٩٢٣.

المشكلة إن اللي كان عايز الدستور يتغير هو الملك فؤاد الأول، أبو الملك فاروق، فـ كان مناقشة التغيير ضروري تصطدم بـ الملك، خصوصًا

لما يكون اللي هـ يناقش ده واحد زي العقاد مشهور بـ حدته في خصوماته، أدبية أو فكرية أو سياسية، لـ درجة دخوله في صدامات مع حزب الوفد، اللي هو في الأساس الحزب الأقرب لـ فكره.

وقع العقاد في المحظور، وراح داببها كده زي ما هي: الشعب ممكن يسحق «أكبر راس في البلد» إذا ما احترمش الدستور، ومين هـ يكون عنده راس أكبر من راس الملك؟

اتقدم صاحبنا لـ المحاكمة، بـ تهمة العيب في الذات الملكية، ويوم ٨ ديسمبر ١٩٣٠، صدر ضده حكم بـ الحبس، وبـ الفعل قضى في السجن تسع شهور، وخرج بعدها كتب قصيدة نارية، بـ يتكلم فيها عن حكاية «التسع شهور» دي، فـ قال:

وكنت جنين السجن تسعة أشهر

وها أنا ذا في ساحة الخلد أولدُ

عمومًا، المصريين بـ يقولوا: «السجن لـ الجدعان» وفي حكايتنا دي بـ الذات، كان عندهم حق.

العقاد سجانًا

تعيش في عصرنا ضيفًا

إنما في الوقت اللي كان فيه العقاد السياسي بـ يدور على مساحة أكبر من الحرية، فـ العقاد الأدبي بـ يعمل من نفسه سلطة على الأدب، والشعر، وبـ يرازي في الشعرا الجداد. وأواخر الخمسينات، بدايات الستينات، كان فيه عركة بين العقاد والشعرا دول، وكانت المعارك دي شعبية لـ درجة إن أخبارها كانت مادة سخنة لـ الجرايد.

يعني، عادي تلاقي حد ناشر في الأهرام فـ تلاقي العقاد رادد في المساء، وهكذا.

العقاد مكنش بس داخل العركة بـ صفته الأدبية، ولا الشخصية، إنما كمان بـ صفته الرسمية كـ مقرر لجنة الشعر في المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية. وكان أمين المجلس كله يوسف السباعي.

بدأت الحكاية سنة ٥٦ لما العقاد قرا قصيدة كتبها صلاح عبد الصبور واتقدم بيها لـ مسابقة بـ ينظمها المجلس، فـ كتب عليها: **تحال إلى لجنة**

النثر. تقريبًا العقاد مكنش يعرف وهو بـ يكتب الجملة إنها هـ تبقى تاريخية، وينضرب بيها المثل دايمًا، على كل قديم بـ يحاول يوقف سير الجديد، وإحنا صغيرين كان الكبار دايمًا يحكوا لنا الحكاية دي.

فضل الموضوع يتطور، لـ حد ما سنة ١٩٦١ جات، السباعي وجه الدعوة لـ بعض الشباب إنهم يحضروا مهرجان الشعر في دمشق، والحاجات دي زمان كان لها وزنها، يعني مثلًا، لما كان الواحد مننا يطلع يقول شعر في معرض الكتاب، ولا حتى في ندوة فـ قصر ثقافة، كان يبقى عدى الفلنكات، وخد اعتراف من الدولة، وبقى له اسم رسميًا.

دعوة السباعي لـ الشبان دول وقتها مكنتش عادية، ليه؟

لـ إنه كان السنة اللي قبلها، دعاهم، فـ العقاد أصر على حاجة غريبة جدًا، إنهم يمضوا تعهدات رسمية على إنهم مش هـ يقولوا شعر جديد، مش هـ يقولوا غير قصايد عمودية (الشعر العمودي أبو ضرفتين ده شطر يمين وشطر شمال، والقافية في نهاية البيت) وكان ساعتها الشبان بدأوا يكتبوا الشعر الحر، اللي هو تحط القافية في أي حتة، أو ما تحطش قافية أصلًا.

المهم، الشبان قدموا التعهد المطلوب سنة ١٩٦٠، ثم جات سنة ١٩٦١، دعوهم لـ المهرجان تاني، فـ وافقوا يحضروا، بس سنتها رفضوا يمضوا التعهد ده، تا تا تتاااا،

العقاد ركب دماغه (هو كان بـ يركبها كتير الحقيقة) وهدد إنه هـ يستقيل لو قروا شعر من قصايدهم الجديدة.

رجع الشباب حاسين بـ القهر، فـ راح أحمد عبد المعطي حجازي فاقع العقاد قصيدة عظيمة، وكتبها بـ الشكل الكلاسيكي، على أساس يقول إنه بـ يعرف يكتب الشكل ده، بس مش عايز، وراح أحمد بهجت سخّنه، وخدها منه ونشرها في الأهرام.

القصيدة دي عظيمة الحقيقة، أذكر منها:

من أي بحر عصي الريح تطلبه

إن كنت تبكي عليه فنحن نكتبه

يا من يحدث في كل الأمور ولا

يكاد يحسن أمراً أو يقاربه

أقول فيك هجائي وهو أوله

وأنت آخر مهجو وأنسبه

تعيش في عصرنا ضيفًا وتشتمنا

أنّا بإيقاعنا نشدو ونطربه

وأننا نمنح الأيام ما طلبت

وفيك ضاع من التاريخ مطلبه

وفيك لا أمسنا زاهٍ ولا غدنا

وفيك أبهت ما فينا وأكذبه

وتدّعي الرأي فيما أنت متهم

فيه وتسألنا عما تخربه

وإنه الحمق لا رأي ولا خلق

يعطيك رب الورى رأسًا فتركبه

مستفعلن فاعلن مستفعل فعلن

مستفعلن فاعلن مستفعل فعلن

بحب القصيدة دي، خصوصًا الشطر اللي بـ يقول فيه:

تعيش في عصرنا ضيفًا وتشتمنا

المهم، العقاد رد في جرنان المساء، وكانت عركة فضلت مشعللة، لـ حد ما العقاد اتوفى ١٩٦٤.

لما تسأل حجازي عن الموضوع ده دلوقتي، هـ يقول لك إنه ندمان، وإن العقاد قامة وقيمة، وده طبيعي، لـ إن حجازي عمل نفس العركة مع شعراء القصيدة الجديدة لما كبر، وبقى يعيش في عصرنا ضيفًا، ويشتمنا..

إيييه، دونيا!

نعوم شبيب

خازوق روزفلت

برج القاهرة

مبنى جريدة الأهرام

سيما علي بابا

كنيسة سانت كاترين

كنيسة سانت تريز

مدرسة القللي الخيرية

تفتكر إيه اللي ممكن يجمع كل الحاجات دي مع بعض؟

صح، برافو عليك، مصممهم ومهندسهم شخص واحد، هو اللي اسمه مكتوب في العنوان: نعوم شبيب، اللي كمان بنى أول ناطحة سحاب مصرية، ولما نقول ناطحة سحاب، فـ إحنا بـ نتكلم عن مبنى يزيد عدد أدواره عن ٢٠ دور.

خلينا في برج القاهرة، اللي قال نعوم شبيب في حفل افتتاحه:

«أقدم لكم هذا المبنى لكي نعتز به، فهو عربي فى تصميمه، عربي فى إنشائه، عربي في كل مرحلة من مراحله»

وقتها كانت فكرة «عربي» بديل عن كلمة مصري، كلمة مصري مكنتش بـ تستخدم خالص، وهـ أقول لك على حاجة رسخها التلفزيون في عقول المصريين، إحنا بـ نقول «فيلم عربي» بـ معنى مصري، لـ إنه لو فيه فيلم تونسي مثلًا، بـ نقول عليه فيلم تونسي مش فيلم عربي.

بس برج القاهرة مش عربي، مفيهوش حاجة «عربية»، بـ العكس، قاعدته من جرانيت أسوان اللي ياما اتبنى بيها معابد، وقمته تصميم على شكل زهرة اللوتس، الزهرة المصرية العريقة، فـ هو مصري مصري مصري.

المثير هنا هو قصة بنا البرج، وتكلفة إنشاؤه، اللي يفخر بيها أي محب لـ جمال عبد الناصر، وده حقهم الصراحة، فـ خلينا نحكي الحكاية:

وقتها مكنش لسه فيه عداء واضح بين يوليو والولايات المتحدة الأمريكية، وكان رئيس أمريكا هو روزفلت، اللي يحب «يدوق» رجال الحكم الصاعدين في مصر، فـ قابل حسن التهامي، اللي كان مستشار رئيس الجمهورية المصرية، واداله ستة مليون جنيه في شنطة يوصلها لـ عبد الناصر، تحت بند «مساعدة الرؤساء الأصدقاء».

فكرة إنه بعتهم في شنطة معناها إن فيه إمكانية المبلغ يدخل خزينة الدولة خمسة مليون، أو أربعة، أو ما يدخلش خالص، ويبقى ده مقابل تبعية الموقف المصري في المنطقة لـ الموقف الأمريكي، خصوصًا في القضايا الإقليمية زي موقف مصر المساند لـ الجزائر مثلًا.

عبد الناصر كان ذكي ونزيه في الموقف ده، لـ إنه وجّه بـ استغلال الملايين

الستة في أطول «لا» في التاريخ، قرر يبني برج على هيئة خازوق، وإنه حتى ما يستغلش الفلوس في البنية التحتية المصرية، وبـ كده يفضل البرج طول الوقت شاهد على إننا رفضنا العرض الأمريكاني.

المخابرات طبعًا هي اللي تولت عملية البنا، وادوا تكليفها لـ ظابط اسمه يسري الجزار، بعد تحديد مكان البرج في منطقة الجزيرة جنب قصر النبيل عباس حليم، ومكنش نعوم شبيب مرشح خالص لـ الموضوع ده، كان المفروض مهندسين تانيين بس علّقوا بـ إن التربة بتاعة المنطقة ما تستحملش مبنى عالي كده.

يسري الجزار كان ماشي وقتها في باب اللوق، فـ شاف عمارة عالية بـ تتبني هناك، فـ قال: الله، ما هي الأبراج أهي طالعة في المنطقة، فـ سأل عن اسم المهندس اللي بنى البرج ده، فـ عرف نعوم شبيب، وراح مكتبه فورًا، وشرح له هو عايز إيه، فـ تولى نعوم تنفيذ البرج.

الأمريكان سموا البرج ده «شوكة عبد الناصر»، فـ المصريين سموه «خازوق روزفلت».

بس اللي يضايق في موضوع البرج هو تجاهل المهندس والمؤسس ليه، لـ درجة إنه محدش تقريبًا يعرف اسمه، المحزن أكتر إنه بعد بناء البرج بـ كام سنة، المهندس نعوم قرر يهاجر من مصر وياخد ولاده ويروح كندا ويموت هناك، ومحدش حتى افتكر يكرّم اسمه بـ أي طريقة.

خسارة.

شاهنده مقلد

اللي حواليه وحشين

يقول الموال الشعبي: هو كويس، بس اللي حواليه وحشين.

طبعًا ده مش موال ولا حاجة، بس شكله كده ينفع، أصلي فشلت في إني ألاقي له جذر، يعني مثلًا قلت يمكن بدأ مع أيام عبد الناصر، بس افتركت فيلم «أمير الانتقام»، اللي اتعمل قبل عبد الناصر، اللي قايم كله على إن بدران هو الخاين، إنما الوالي يا ولداه كويس وما يعرفش حاجة، ولما عرف طبق العدل.

عمومًا، بـ غض البصر عن جذور المفهوم ده، عندنا حكاية تعتبر تطبيق عملي لـ الفكرة، وهي حكاية صلاح حسين، ومراته شاهنده مقلد، مع جمال عبد الناصر.

تقول الحكاية إن صلاح حسين ده فلاح، من صغار الفلاحين في قرية كمشيش، وكان عنده حس وطني أيام حركات التحرر الوطني، ولف على كتير من التيارات السائدة وقتها، إيشي إخوان مسلمين، إيشي مصر الفتاة، إيشي ماركسية، بس هو في النهاية كان بره التصنيف.

شارك صلاح حسين في المقاومة سنة ١٩٤٨، ورجع بلدهم بعدين يوجّه نضاله الأساسي ضد الإقطاعيين أصحاب الملكيات الزراعية الواسعة، وكانت العيلة المسيطرة على الحيازات الزراعية في بلدهم عيلة «الفقي».

بدأ صلاح يجمع حواليه الفلاحين، وعمل حركة سماها برضه «الأحرار»، كانت قايمة على مواجهة عيلة الفقي، وتحريض الفلاحين على عدم الامتثال لـ أوامر الوسية، لـ إن عيلة الفقي كانت بـ تحرق أراضي اللي يخالفها، ويجبروا الفلاحين على أوضاع مش حابينها، زي إن ستاتهم تروح تخدم في قصور بيوت «الفقي».

كان رد فعل الفقاوية إنهم جابوا صلاح وحبسوه في سجن خاص بيهم، بس صلاح قدر يوصّل صوته لـ مستويات أعلى، وفعلا أفرجوا عنه، وبقى «الأحرار» ليهم صوت يتسمع، وبدأوا يعملوا عمليات انتقامية ضد عيلة الفقي، دول يحرقوا أرض، فـ يردوا عليهم، وفضلنا كده لـ حد ما قامت يوليو ١٩٥٢.

المفروض بقى بعد «الثورة» إن الأحرار ينتصروا على الإقطاع، بس ده ماحصلش، وفضل الوضع على ما هو عليه، بل يمكن أسوأ، وسنة ١٩٥٣، دخل فلاحين كمشيش معركة ضد الإقطاعيين، كان اسمها معركة الملال، على غرار فيلم الأرض كده، مشروع يخدم أرض الباشا، ويضر أراضي الفلاحين، فـ الفلاحين عملوا أعمال تخريبية ضد المشروع، وقامت عركة أصيب فيها ١٧ فلاح وفلاحة بـ إصابات خطيرة.

بعد كده تطورت المعركة مع الفلاحين، بـ إن عيلة الفقي بدأت تستعين بـ الأعراب والبدو والغجر، يرازوا في الفلاحين، اللي بقوا هـ يلاقوها منين ولا منين، والأوضاع كل يوم عمالة تسوء.

طب وفين السلطة؟ وفين يوليو؟

السلطة، أقول لك يا سيدي ع السلطة، كانت بـ تعمل جلسات عرفية لـ الصلح بين دول ودول، وكان مندوب السلطة في الجلسات دي أنور السادات وكمال الشاذلي، فـ يعني ممكن حضرتك تتخيل إيه شكل الجلسات دي، وكانت الطامة الكبرى مع تشكيل الاتحاد الاشتراكي.

في الاتحاد المذكور كان فيه حاجة اسمها العزل السياسي، والعزل اتوجه ضد عيلة الفقي، وضد الفلاحين في نفس الوقت، وده اللي خلى صلاح حسين يبعت جوابات لـ عبد الناصر، وكان طول الوقت متخيل إن الجوابات دي مش بـ توصل.

في واحد من الجوابات دي، صلاح قال لـ عبد الناصر: هـ يقتلوني وهـ يقتلوك، وده اللي حصل فعلًا بـ النسبة لـ صلاح حسين، اللي اغتالوه في ٣٠ أبريل ١٩٦٦، وبعد اغتياله بـ شوية، جيفارا كان بـ يزور مصر بـ صحبة عبد الناصر، وكانوا بـ يفوتوا على الأراضي الزراعية، فـ لما عدوا قريب من كمشيش، كانت شاهنده مقلد في انتظارهم رافعة يافطة مفادها إن صوتهم مش قادر يوصل لـ عبد الناصر.

كانت رسالة شاهنده:

إنت كويس بس اللي حواليك وحشين

وعنها!

نبيل الوقاد

الكابتن بكـر

الله يرحمك يا كابتن محمود بكر، يرحمك ويسامحك ويسامح اللي كان السبب.

دي نهاية الحكاية، بدايتها ما بين شارع النزهة وشارع أحمد تيسير في مصر الجديدة، عندنا شارع اسمه نبيل الوقاد، المرحوم نبيل الوقاد هو أصل الحكاية. يبقى نبدأها من الأول.

سنة ١٩٦٢، كانت اليمن مملكة، بـ يحكمها إمام اسمه الإمام البدر، وحصل انقلاب عسكري عليه من المشير السلال، ومعاه البيضاني وأسماء تانية كانت معروفة عندنا في الستينات.

وقتها مكنش فيه حرص على التفرقة بين الانقلاب والثورة، أصلا كلمة ثورة وكلمة انقلاب واحد في بعض اللغات، وفـ اللغة الفارسية بـ تتقال كده «انقلاب» معناها انقلاب ومعناها ثورة، وعموما اللي يفرق بين الاتنين نظرتك لـ الأحداث.

إحنا في مصر اعتبرنا إن اللي حصل ده ثورة، مصر كانت بـ تدعم «الثورات» العربية، وعمليات التحوّل من الممالك إلى الجمهوريات، على الأقل في بداية الأحداث، ولـ ذلك اختار نظام عبد الناصر إنه يساعد الانقلاب على حكم الإمام في اليمن، في حين اختارت السعودية إنها تدعم نظام الإمام البدر، اللي إحنا هـ نسميها الثورة المضادة، والبدر نفسه راح قعد في السعودية، وبدأت حرب بين أتباع الإمام وطلاب الجمهورية، استمرت حبة حلوين.

نظام عبد الناصر اختار دعم «الثورة»، بعد تردد، في الأول اتحطت خطة الانقلاب في مدينة جرمش في ألمانيا، بعد كده جه البيضاني القاهرة لـ عرض الخطة على المسؤولين المصريين، وكان من ضمنهم أنور السادات، صلاح نصر مدير المخابرات العامة، ونائبه علي سليمان، طبعًا بـ حضور وإشراف من جمال عبد الناصر ذات نفسه.

بدأت الأحداث يوم ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢، بـ إنه وصلت من مصر فرقة صاعقة، بـ قيادة ظابط الصاعقة المصري نبيل الوقاد، الوقاد مكنش مجرد ظابط صاعقة، ده كان واحد من اللي أسسوا السلاح ده سنة ١٩٥٥، مع أسلحة كتير أسستها القوات المسلحة المصرية في الوقت ده.

لـ الأسف الشديد، كتيبة الصاعقة اللي راحت عملت إنزال في حتة غلط بناء على طلب الدكتور عبد البيضاني، اللي مكنش له في العسكرية نهائي، فـ راحت الكتيبة كلها، وكل اللي فيهم اتقتلوا ومن ضمنهم نبيل الوقاد.

في مصر، لما ده حصل، كان طبعًا إحراج شديد لـ عبد الناصر، خصوصًا إن المعركة كانت في أولها، يعني اللي راحوا دول مجرد بداية، ساعتها طلع عبد الناصر وقال خطبة عصماء.

في الخطبة دي عبد الناصر استخدم تعبير «النكسة» أكتر من مرة، بس طبعًا مش لـ وصف ٥ يونيه ١٩٦٧، اللي مكنتش لسه حصلت، وإنما لـ وصف اللي حصل في سوريا من انفصال بعد الوحدة بين مصر وسوريا اللي ما صمدتش تلات سنين.

كان محور خطاب عبد الناصر عن فكرة الوحدة العربية، وربطها بـ أحداث اليمن، وكانت الفكرة الأساسية هي إننا «ما كفرناش» بـ الوحدة رغم «النكسة» ورغم دعاة الانفصال في كل مكان، فضل عبد الناصر يكرر تعبير ما كفرناش، ما كفرناش، في سياقات كتير، وفـ الآخر علشان يثبت إننا ما كفرناش، اتكلم عن نبيل الوقاد، وقال بـ النص:

«تعرفوا

علشان برضه أثبت لكم إن احنا ما كفرناش (يقصد ما كفرناش بـ الوحدة)

ماحدش كفر،

أبوه فى المعاش قابل عبد الحكيم عامر

تعرفوا قال له إيه؟

قال له:

أنا عايز منك طلب واحد والله،

حاجة واحدة

إنك تاخد أخوه فى الكلية الحربية»

طبعًا بعد الخطبة دي، طلب انضمام أخو نبيل الوقاد لـ الكلية الحربية

بقى مسألة وقت، وأخو نبيل الوقاد طلع بطل برضه، بس بطل الدوري العام المصري.

أيوه، أخو نبيل الوقاد كان الكابتن العقيد محمود بكر، نجم النادي الأوليمبي بطل الدوري موسم ١٩٦٥/ ١٩٦٦.

الله يرحمك يا كابتن بكر.

تسريب امتحان الثانوية العامة

نكسة التسريب

في ٦٧ كانت الهزيمة، وعلشان يخفف وطأها، محمد حسنين هيكل سماها نكسة، بس اللي حصل إن وقع كلمة نكسة علينا بقى أتقل من أي هزيمة، لـ إن اللي حصل كان أوحش من أي كلمة تتقال في وصفه.

إسرائيل وقتها كانت بـ تتعمد تظهر بـ مظهر اللي علّم علينا في كل حاجة، وكان هدفها الأول قبل السلاح والسياسة وقبل أي حاجة معنويات المصريين، اللي كانت قبل النكسة في السما، بـ الصدق أو بـ الكدب مش مهم، المهم إنها كانت في السما.

كفاية بس أقول لك إن أم كلثوم كانت بـ تعمل حفل شهري، وعندها في السنة كذا موسم، في ٦٧ كان الموسم بتاعها ينتهي في حفل ١ يونيه ١٩٦٧، وغنت وقتها تلات أغاني دينية وحماسية هي أغاني الثلاثية المقدسة «راجعين بـ قوة السلاح» بتاعة صلاح جاهين، وسلوا قلبي بتاعة شوقي بيه، اللي بـ يقول فيها:

أخذنا إمرة الأرض اغتصابًا

في آخر الحفلة دي، الست قالت إن السنة دي مختلفة، لـ إن الموسم بتاعها ما خلصش، وإنها عندها الشهر الجي حفلة في تل أبيب، على اعتبار يعني إن انتصارنا على إسرائيل مسألة وقت، أو مسألة مبدأ.

مش بس الست، الإذاعة كانت بـ تذيع أغاني تأكد نفس المعنى، وكانت الناس بـ تطلع في مظاهرات يهتفوا: عبد الناصر يا حبيب، اضرب اضرب تل أبيب.

علشان كده كان هدف إسرائيل هو «كسرة النفس» قبل أي حاجة.

من الحاجات اللي عملتها تل أبيب في هذا الشأن، إن الموساد قدر يحصل على نسخة من امتحانات الثانوية العامة سنتها، وبدأت إذاعة تل أبيب تذيع أسئلة اللغة العربية في أول يوم امتحانات، ساعتها الصدمة كانت شديدة، لـ إن الثانوية العامة بوابة العبور لـ المستقبل، وامتحانها كان بـ النسبة لـ المصريين، زي يوم الحساب كده، هو اللي هـ يحدد هـ تروح الجنة ولا الجحيم.

وقتها قرر جمال عبد الناصر إلغاء امتحان الثانوية العامة، وفتح تحقيق شامل، والأهم إنه خلى الإشراف على امتحانات الثانوية العامة من شئون القوات المسلحة، وأجهزة الأمن هي اللي تشرف على الامتحانات، اللي هـ تنطبع في مطبعة سرية.

ويحكي الصحفي ماجد عاطف إن والده كان في يوم من الأيام مدير المطبعة دي، وصحي في يوم على تليفون جي من مكتب وزير التعليم، فـ حاول يفهم من مدير المكتب إيه الحكاية، فـ بلغه إن السرية انضربت.

ماجد بـ يحكي إن والده كمل لبس البدلة على السلم، وجري بـ سرعة

على الوزارة، وهناك لقى الوزير وظباط من أمن الدولة والمخابرات وكبار رجال الوزارة، وموضوع كبير.

أول ما قعد الأستاذ عاطف، الوزير طلع ورقة وقال له: آدي يا أستاذ عاطف امتحان التاريخ، وإحنا هنا دلوقتي علشان نعرف ازاي الامتحان ده وصل هنا دلوقتي؟ (اللي بـ نفهمه هنا إنه حتى وزير التعليم نفسه ما كانش عنده نسخة من الامتحانات، كان مستحيل تطلع من المطبعة).

مسك الأستاذ عاطف الورقة وإيده بـ العافية قدرت تشيلها، لـ حد ما قراها، وراح مطلع نفس عميق، وقال: الحمد لله يا افندم، مش هو ده الامتحان، فـ راح اللي قاعدين في نفس واحد قايلين: الحمد لله، الحمد لله، وأخيرًا بلعوا ريقهم.

روحي يا أيام، وتعالي يا أيام، ويتم تسريب الامتحانات على إيدين عيال صغيرة بـ يلعبوا بيه على الفيسبوك، ويبيعوه بـ تلاتين جنيه لـ الامتحان، والدولة واقفة تتفرج مش عارفة تعمل إيه، ولا تروح فين وتيجي منين.

إيييه، دونياااا..

مصنع الكراسي

الطريق إلى العالمية

إيييه، دونيا..

الحكاية اللي حابب أختم بيها الكتاب، حكاية ليها حكاية، خلينا الأول أحكي لك الحكاية، وبعدين أقول لك في الآخر حكاية الحكاية، وليه أنا حاططها في الكتاب، مع إنها تبدو غريبة عنه.

كان ياما كان، في سالف العصر والأوان، مش سالف قوي يعني، الكلام ده كان في أواخر الخمسينات أوائل الستينات، الدولة بنت مصنع لـ إنتاج الكراسي على الحدود بين دولتي إمبابة والوراق يطل على النيل مباشرة.

وروحي يا أيام، تعالي يا أيام، وزي كتير من المصانع اللي زيه، المصنع ما بقاش له عازة (لو كنت من محبي ناصر، هتشوف إن ده بسبب المؤامرة على القطاع العام والصناعة المصرية، ولو كنت من كارهيه هتشوف إن أصلًا مكنش له عازة، وإن خسّر البلد كتير، أو إدارته كانت فاشلة، بس مش ده موضوعنا).

لما المصنع ما بقالوش عازة، باعوه، وفضل كده مساحة أرض مهجورة، بس مساحة عملاقة، ييجي بتاع خمسين فدان.

طبعًا المساحة الضخمة دي، خلت المنطقة اللي وراه، مرتع لكل حاجة خارج القانون، ضرّيبة الحقن، شمامين الكلّة، وأي اتنين مش لاقيين شقة.

بـ مرور الوقت بدأ سكان المنطقة يستخدموا تعبير «ورا مصنع الكراسي» كناية عن السيكو سيكو. خدتك ورا مصنع الكراسي، إنت بـ تتاخد ورا مصنع الكراسي، بـ ياخدها ورا مصنع الكراسي، وهكذا أشياء.

المصنع نفسه ما عادش موجود، مكانه حاليًا قدام وزارة الري، واتهد وطلع مكانه مجمعات سكنية وأبراج، وظهرت وحدة لـ المطافي، وعربيات وتكاتك، وظهر وراه شارع، لا شارعين، واحد منهم اسمه شارع الجيش، بـ اختصار، ورا مصنع الكراسي ما بقاش حتة مهجورة، بقت مدينة بـ تشغي بشر ٢٤ ساعة في اليوم، ٧ أيام في الأسبوع.

مع ذلك، فضل التعبير موجود، وإن كان موجود بس في نطاق إمبابة والوراق، يمكن تسمعه من حد في حتة مجاورة، الكيت كات، روض الفرج، آخر حدودك شباب شبرا، لحد ما جه ممثل مصري اسمه أحمد مكي، اخترع شخصية اسمها حزلئوم، ساكنة في منطقة شعبية، فاستعار التعبير في فيلم من أفلامه، وهكذا خرجت العبارة من النطاق الإقليمي للحي الشعبي، وشملت النطاق المحلي لـ جمهورية مصر العربية.

ناخد طيارة ونطلع على ألمانيا، فريق بايرن ميونيخ يعلن برنامج لقاءاته لـ الفترة المقبلة، ومنهم ماتش مع نادي مصري هو النادي الأهلي.

ييجي مشجع مصري واخد الاصطباحة، يروح كاتب لهم بالإنجليزي، we will take you behind the factory of the chairs.، المشجع ده ياخد

عدد مهول من اللايكات، طبعًا من المصريين اللي بيتابعوا صفحة البايرن.

أدمن الصفحة الرسمية للنادي الألماني يسأل: يعني إيه يا جماعة الكلام ده؟ شفرة دي ولا إيه؟ فالمصريين شرحوا لهم المعنى.

قوم إيه، بايرن ميونيخ يلاعب الغريم الألماني بتاعه، بروسيا دروتموند، ويهزمه، فالصفحة الرسمية للبايرن تكتب بالإنجليزي: إنهم خدوا بروسيا ورا مصنع الكراسي.

ومين عارف، ممكن عقبال ما نوصل كأس العالم، مصنع الكراسي يبقى أشهر مكان بالنسبة لجمهور الكورة.

شفتوا الإديومز بتنتشر ازاي؟

تفتكر لو عبد الناصر وهم بيفتتحوا المصنع ده، حد قال له مصيره، كان رد فعله هيبقى إيه؟

فعلًا، لو علمتم الغيب، لاخترتم الواقع..

حبيت بس أحط البوست ده في الكتاب هنا من أجل التوثيق، لـ إني كتبته سنة ٢٠١٣، وبعدها اتسرق من طوب الأرض، إيشي صفحات، إيشي أكاونتات، إيشي جروبات، مقالات في جرايد، حلقات في برامج، لـ حد ما تفرق دمه بين القبائل، فـ قلت أما أحفظ حقي وأضمه في كتاب.

وعاشت مصر حرة مستقلة.

المحتويات